http://www.maktbtna2211.com

أخبار اليوم
قطاع الثقافة

مكتبة إحسان عبد القدوس الكاملة

مكتبتنا ..عالم لا ينتهي من الحصريات

صانع الحب

/http://www.maktbtna2211.com

إحسان عبد القدوس

http://www.maktbtna2211.com

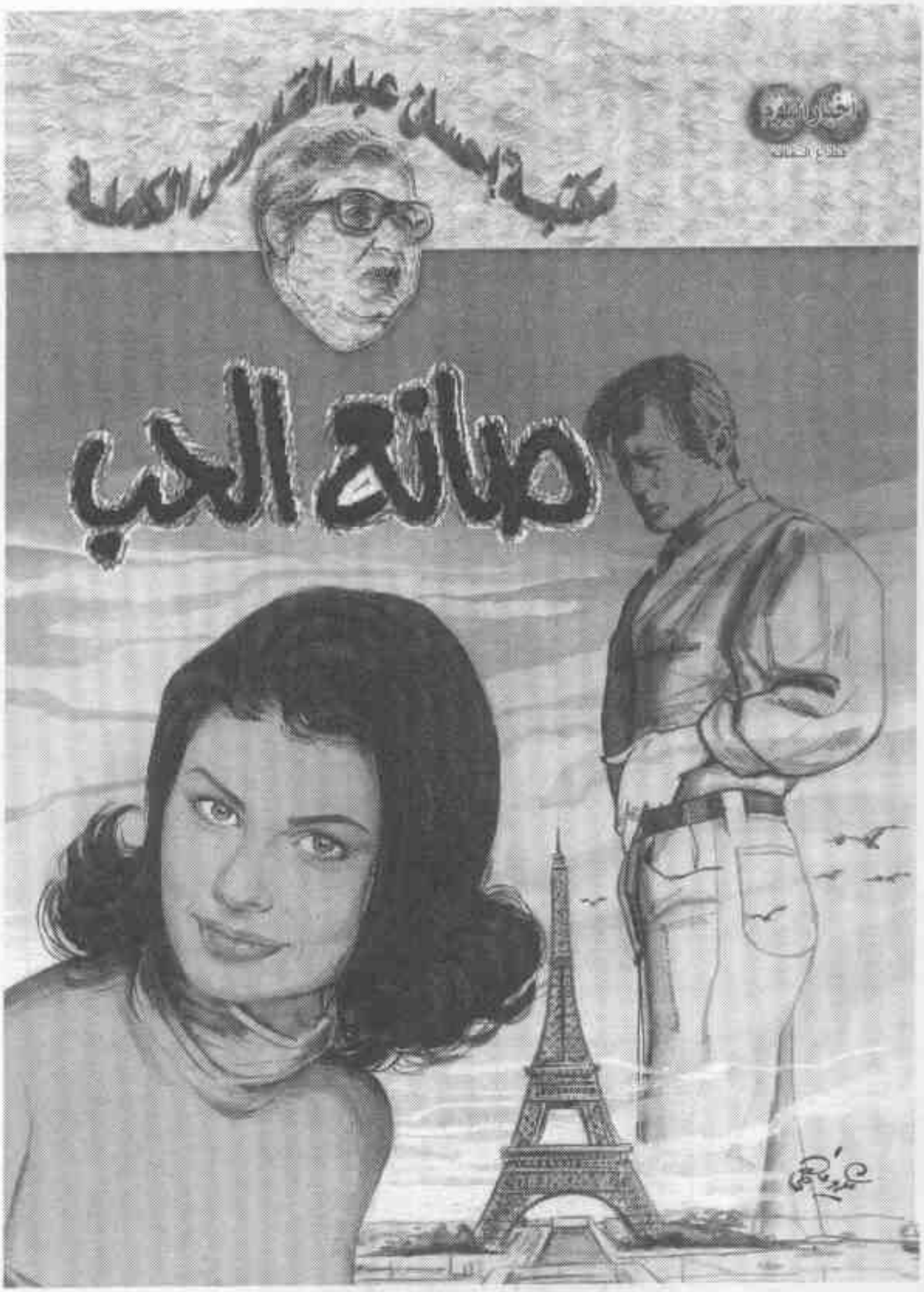

إحسان عبد القدوس

http://www.maktbtna2211.com

دار أخبار اليوم
قطاع الثقافة
جمهورية مصر العربية
٦ ش الصحافة القاهرة
تليفون وفاكس: ٥٧٩٠٩٣٠

http://www.maktbtna2211.com

مقدمة

هل أنا صحفى..؟
أم هل أنا أديب.. ؟
انى عندما أكتب للصحافة يخيل إلىّ انى أديب، وعندما أكتب للأدب يخيل إلىّ انى صحفى!!
والصحفى حين يكتب يسرد وقائع، والأديب عندما يكتب يجنح إلى الخيال، وهذه القصص ليست وقائع ولا خيالا، إنما هى الواقع فى اطار من الخيال، أو هى الخيال فى حدود الواقع، بل انى لا أحب أن اسمى هذا الكتاب «مجموعة من القصص» لأن ما فيه ينقصه الكثير من عناصر القصة، إنما هو «مجموعة من الصور»مرت أمام عينى فى لمحات عابرة ثم تركت لقلمى أن يرسمها كيفما شاء ويضيف إليها من «المناظر» والالوان ما شاء..
وقد اخترت للكتاب عنوان «صانع الحب» لأن كل ما فيه من حب إنما هو حب مصنوع، ومن السهل أن تصنع الحب اى أن تفتعله، ولكنه فى هذه الحالة لا يدوم إلا ريثما تدير عينيك إلى الناحية الأخرى.. أما الحب بكل معانيه، الحب الذى وجد مع الحياة فأضاءها بنور الله، فقد عرفته ولكنى لم أكتب عنه لأنه أقوى من قلمى..

احسان عبدالقدوس

http://www.maktbtna2211.com

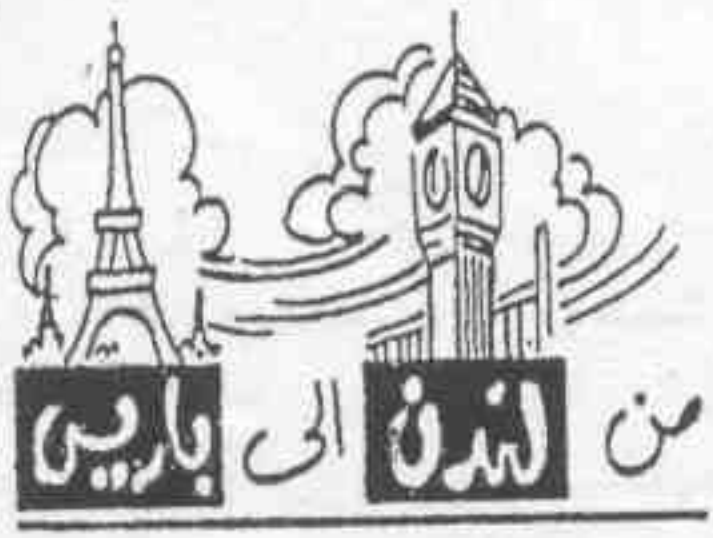

من لندن إلي باريس

http://www.maktbtna2211.com

سار فى شوارع لندن - لأول مرة - وحيدا مجهولا من الجميع إلا من قليل سمعوا باسمه أو علموا بزيارته، وكان فى سيره مجدا، نهما لا يستريح ولا يرحم نفسه، يريد أن يرى ويفهم كل ما حوله فى أيام لا تتعدى الثلاثين.

ولم تكن مهمته سهلة كما كان يتصور، فقد التقى هناك بشعب محافظ منطو على نفسه لا يسألك من أنت إلا اذا اقتحمت عليه الدار، وكان عليه أن يقتحم ألف دار ليرى الرجل الانجليزى وكيف يعيش وكيف يفكر وكيف يحب..

واستطاع أن يقتحم أبواب الوزارات وأن يقابل من اعتادت الصحف أن تسميهم «المتحدثون بلسان وزارة الخارجية الانجليزية» هؤلاء الذين كان يرى لهم صورا غامضة مثيرة بين سطور البرقيات التى تنشرها الصحف..

واستطاع أن يصل إلى الطبقة الراقية الانجليزية فى قصورها وفى نواديها الليلية، وأن يدرس هذه الارستقراطية المقدسة التى عجزت المبادىء السياسية والاجتماعية عن هدمها..

واستطاع أن يعيش بين سكان الإيست أند فى فقرهم وتهتكهم وخمرهم، واكتشف السوق السوداء فى لندن، ورأى المرأة الانجليزية المتكبرة المتغطرسة عندما تتعرى عن تكبرها وتغطرسها وتصبح عبدة شهواتها وحسها، وتنسى الامبراطورية العظيمة التى لا تغرب عنها الشمس لتصبح انسانا فطريا بهيميا لا يميزه عن سكان الغابات إلا

http://www.maktbtna2211.com

لونه الأبيض!

ورأى الحب..

الحب الرخيص المفضوح فى حدائق هايد بارك.. والحب الرقيق العف بين غابات اسكوت وحشائش كمبريدج والحب المجنون المعربد فى حانات حى شلسى والماى فير.. والحب العاقل الرزين بين الأزواج الانجليز.. والحب الشاذ بين شقراوات الأيست أند وزنوج افريقيا على أرصفة الميناء!

وكان فى كل ذلك كآلة تصوير يلتقط بعينيه صور الحياة والحب التى تمر أمامه ويسجلها فى ذاكرته دون أن يشعر بها فى قلبه..

كان قد ترك قلبه على عتبة داره قبل أن يغادر القاهرة وعاش على نبضات ذكرياته.. ذكريات حب خلق منه الرجل، وسند خطواته العرجاء فى الحياة حتى قويت واشتدت، حب اجتمع فيه العقل والطيش، والحس والقلب، وباركته الدموع والبسمات.

وقد أتعبته هذه الذكريات وانهكت أعصابه، فقد كانت دائما تشعره بوحدته فى غربته، وكانت دائما تشد ذهنه إلى بلده وإلى بيته وإلى حبه.. وكان يكافح هده الذكريات حتى لا يشرد عما حوله، وقد حطمه هذا الكفاح.. الكفاح ضد نفسه وضد ذكرياته، فما كاد ينتهى من زيارته لانجلترا ويصل إلى باريس حتى أحس بنفسه انسانا خاوى القلب، مصدع الرأس، أصم الحس، مضعضع الأعصاب، وأحس بحاجته إلى اليد الناعمة التى تلمس جبهته لتعيد إليه رشده، وإلى الهمسة الخافتة التى تهف فى اذنه لتوقظ حواسه وإلى الصدر الحنون الذى يتلقاه ليريح رأسه بين خفقاته..

كان هذا هو حاله عندما وصل إلى باريس.. وهنا تبدأ القصة الأولى:

http://www.maktbtna2211.com

عذراء هولندا

http://www.maktbtna2211.com

كان يزور متحف اللوفر، وهو من عادته يكره زيارة المتاحف ودور الآثار، ولكنه زارها في باريس لا لشيء إلا ليقول للناس حين عودته انه زارها، وانه رأى بعيني رأسه قبر نابليون، وقصر فرساى، وصورة الجيوكندا وتمثال فينوس، وليستطيع أن يحشو مقالاته بأسماء رفائللى، ورمباراند وغيرهما من الفنانين كما يفعل صديقاه الصاوى وتوفيق الحكيم!

وانتهى طوافه فى متحف اللوفر إلى تمثال ضخم لأبى الهول يحتل حجرة خافتة الضوء فى القسم الخاص بالآثار المصرية، ولا يدرى ماذا أصابه عندما وقف أمام أبى الهول وقد خيل إليه انه وحيد فى المكان.. قد يكون حنينه ولهفته إلى مصر آثارها فى نفسه رؤية أبى الهول، وقد يكون الفخر بأجداده الفراعنة وهو يرى سطور مجدهم قد خطت فى كل متحف من متاحف الغرب..

لا يدرى ماذا أصابه، ولكنه سمع صوته يرتفع فى خطاب حماسى يلقيه على مسامع التمثال الأصم الرابض أمامه، ولو أفاق لضحك على نفسه ولسخر من هذا المجنون الواقف فى أحد أروقة متحف اللوفر يلقى خطابا بين يدى تمثال أبى الهول.. ولكنه لم يضحك ولم يسخر من نفسه، فقد كان فى شبه غيبوبة أفنى فيها كيانه متحمسا لأجداده الأفاضل!

وفجأة سمع ضحكة رقيقة خافتة مكتومة رنت فى أذنه رنين نغم ينبعث من وادى الملوك.. سمع هذه الضحكة مرة وسمعها مرة ثانية،

http://www.maktbtna2211.com

فالتفت بدافع مجهول وراءه، فرآها أمامه!

فتاة فى عمر الورد.. ينسدل على جبينها شعر ذهبى فى لون سنابل القمح وقت الحصاد، فوق عينين فى زرقة سماء الصيف، وشفتان تضجان بحرارة الصبا، ووجنتان يصهرهما شباب الثامنة عشرة..

كانت جالسة فوق قاعدة تمثال تنظر إليه ويداها فوق ثغرها تكتم بها ضحكاتها، وعندما التفت إليها نظرت إليه وهو فى ارتباكه من مفاجأة رؤيتها، ثم قالت وفى عينيها أسف واعتذار:

- آسفة لازعاجك.. سأنصرف لتكمل صلاتك!!

- انها ليست صلاة.. و لكنها دماء الفراعنة فى عروقى جعلتنى أحن إلى حديث مع أبى الهول!!

- هل أنت فرعونى؟!!

- انى مصرى.

- هذا ما حسبته!

وحدثها عن مصر، نسائها ورجالها وأديانها ونظم الحكم فيها، ثم قام يطوف معها معروضات القسم المصرى بالمتحف، ولم تحرجه بسؤاله عن تفاصيل تاريخ الفراعنة، ولو سألته لأسقط فى يده، فقد كان دائما الأخير بين طلبة مدرسته فى مادة التاريخ..

ولم تسأله لأنها كانت تعرف كل شىء.. كانت تعرف تاريخ حجر رشيد وتاريخ مينا وخوفو وتحتمس، وأحس بالخجل وهى تشرح له الفرق بين الفن المصرى القديم والفن الافريقى، فقد كان جاهلا بكل كلمة قالتها ولو انه كان يتظاهر دائما بأنه يعرف أكثر مما تعرف.

وخرجا معا إلى حديقة المتحف، فلاحظ انها ترتدى ثوبا رخيصا بسيطا، وحذاء كأحذية لاعبى كرة القدم معفرا ممزقا، وتحمل فى يدها حقيبة كتلك التى يحملها بعض النساء عند ذهابهن إلى سوق الخضار، وكانت فى مشيتها لا تتمايل ولا تتثنى بل تقفز وتنط

http://www.maktbtna2211.com

وتضرب الحجارة بقدمها.. كانت كتلميذ شقى فى احدى المدارس الابتدائية..

وكانت فعلا «تلميذة»، ولكنها لم تكن باريسية أو فرنسية بل طالبة هولندية أنهت دراستها الثانوية.. وكانت فى طريقها إلى سويسرا لتلتحق باحدى الجامعات هناك.

وقبلت دعوته إلى الغداء.. فصحبها إلى الفندق الذى يقيم فيه، ولكن الخادم اعتذر لهما بأن المطعم الملحق بالفندق قد أغلق أبوابه، وهو مستعد أن يقدم لهما الطعام فى غرفة «المسيو»..

وغمز الخادم اللعين بعينه!!

وسألها وقد أربكته تقاليده الشرقية، هل تقبل أن تصحبه إلى غرفته لتناول الغداء..

وأجابت فى بساطة وكأن وجودها معه فى غرفته - وهى غرفة نومه - أمر طبيعى لا يثير الشبهات.. أجابت:

- لم لا..

وصعدا إلى غرفته.. وبين أطباق اللجوست وأكواب نبيذ البوربون أخذت تحدثه..

حدثته عن هولندا يوم احتلها الألمان ويوم احتلها الانجليز!! وحدثته عن أمها وأبيها واخوتها الصغار، وعن أبطال هولندا الذين حاربوا الأسبان وفتحوا الهند واحتلوا أندونيسيا.. وكان الحديث كله لها، فلم تترك له فرصة ليقول كلمة واحدة، حتى ظن انها تتعمد ألا تترك له الحديث حتى لا يوجهه إلى موضوع لا ترغب فيه..

وبكل بساطة خلعت حذاءها - وهى مستمرة فى حديثها - ثم قامت ودخلت إلى الحمام وغسلت وجهها ثم عادت وألقت بنفسها فوق الفراش.. فراشه هو!!

وحاول أن يكون فى مثل بساطتها، فخلع ملابسه، وارتدى «البيجاما»، ودخل إلى الحمام وغسل وجهه ثم عاد وألقى بنفسه

http://www.maktbtna2211.com

على الفراش.. بجانبها!!

وسواء تعمد أو لم يتعمد، فقد جاءت رقدته ملتصقا بالجسد الساخن الصبى، ولمست شفتاه الوجنة الناضجة فى قبلة خاطفة اهتزت لها أعصابه.. واشتعلت دماؤه..

وسكتت الفتاة عن الحديث ـ وكانت لاتزال تتحدث عن هولندا!! ـ وظللت جبينها سحابة غضب رقيقة، أو رأى فى عينيها نظرات مترددة تصل إليه من بعيد تحمل ذكريات حزينة، وقالت وهى تزيحه عن صدرها فى رفق:

ـ انك ستفسد كل شىء..

قال:

ـ انى لم أتعمد شيئا.. آسف!

قالت:

ـ لا تأسف.. ولكن عدنى بشىء..

ـ ما هو؟

ـ !الا تقبلنى إلا اذا قبلتك!

ـ أعدك..

ـ هل تقسم بمحمد؟؟؟

ـ أقسم..

وناما حتى المساء على فراش واحد لا يفصل بينهما سوى قسم لم يحاول أن يحنث به!

□□□

وقضيا السهرة معا فى «بلاس بيجال» فركبا الأراجيح، وقذفا الكرات الملونة ورقصا فى «المولان روج»، وأكلا القشطة فى قراطيس البسكوت، وشربا «المانت» المثلج.. وضحكا حتى قفزت دموع النشوة من مآقيهما..

http://www.maktbtna2211.com

ولكن كان يقف بينهما شيء.. سر مجهول.. فقد كانت تتحدث اللغة الألمانية بين اللغات الخمس التى تجيد التحدث بها، وهو يعرف مطلع أغنية ألمانية تدعى «ليلى مارلين» فأخذ يتمتم بها ليتظاهر أمامها بأنه يعرف شيئا من الألمانية.. وعندما سمعته لأول مرة يترنم بهذه الأغنية أسكتته بسؤال، يذكر تماما انه كان سؤالا سخيفا..

وعندما عاد إلى الترنم بالأغنية نفسها قالت له: «انها أغنية سخيفة.. لا أحب سماعها..»

ولكنه عاد وترنم بها للمرة الثالثة فصاحت فى وجهه فى عصبية وغضب: «اخرس.. قلت لك اخرس».

وعندما رفع إليها عينيه متسائلا، ألقت برأسها على صدره وأخذت تبكى وقالت خلال دموعها: «ارجوك.. لا تسألنى شيئا.. ولكن لا تعد إلى الترنم بهذه الأغنية»!!

وجففت دموعها وعادت تبتسم، ونسيا سر الأغنية خلال ضحكاتهما وضجة البلاس بيجال..

وعندما أوصلها فى الساعة الثالثة صباحا إلى الفندق الذى تقيم فيه، وضعت كلتا يديها فى يديه ونظرت إليه خلال أهدابها نظرة صامتة حاول أن يقطع صمتها بكلمة، ولكنها وضعت أصبعها على شفتيه وقالت:

- هس.. لا تتكلم.. دعنى أنظر إليك!!

ثم فاجأته بقبلة على وجنتيه، قبلة خاطفة خجلة، جرت بعدها واختفت داخل الفندق.

لقد حلته من قسمه!!

□□□

وفى اليوم التالى انتقلت من الفندق الذى تقيم فيه وعاشت معه فى نفس الفندق وفى نفس الغرفة وعلى نفس الفراش!

وهو يذكر الليلة الأولى وهى فى غلالتها الرقيقة، عندما انطوت

http://www.maktbtna2211.com

على نفسها بين أحضانه، ودفنت رأسها فى صدره وأخذت تعبث بأصابعها فى أزرار بيجامته، وشعرها الذهبى يهف على وجهه فى رقة دغدغت أعصابه.. يذكر انها قالت فى كلمات متكسرة خجلة دون أن ترفع إليه عينيها:

- انى.. انى.. عذراء!!

وصمتا لحظة، يذكر بعدها انه قبلها فى جبينها ثم رفع وجهها وقال فى لهجة أب حنون يدلل ابنته:

- وستظلين عذراء!!

□□□

وناما ولم يكن ثالثهما الشيطان!

وملأت عليه حياته، كانت تغسل له ثيابه، وتحسب نقوده، وتلخص له كل صباح جميع الصحف الفرنسية، وكانت تطوف به أنحاء باريس لتريه معالمها، وكانت تتحمس لعمله وتسعى معه حيث يسعى وتغضب حينما يغضب، وتضحك حينما يضحك، وأفنت شخصيتها فى شخصيته ورضيت بعاداته الشرقية فكانت تعتذر لأصدقائه حينما يدعونها للرقص، وترفض أن تجيب على سؤال رجل غريب حتى لو سألها «الساعة كام؟»! ولو انه أمرها أن تسدل على وجهها «برقع» لأطاعت!!

وقد حدثها عن نفسه كثيرا.. عن حياته وعمله وأيام صباه. ولكن ناحية واحدة من حياته لم يحدثها عنها. الناحية التى تضم قلبه الذى تركه على عتبة داره فى القاهرة.. وربما خجل أن يبوح بذكرياته أمام فتاة غريبة طارئة على قلبه، أو ربما ضن بحبه أن تلوثه كلمة قد تخرج من فم الفتاة.. كان حبه عزيزا عليه.. كان صلاة يتعبد بها عندما يخلو إلى نفسه.. صلاة يرددها فى صدره ويتلوها صامتا.

وعاشت معه، وهى لا تعلم أن له حبا فى القاهرة، ولكنه يقسم انه

http://www.maktbtna2211.com

لم يحاول يوما أن يقنعها انه قد أحبها، بل لم يسمعها يوما - حتى وهو فى حماس النشوة - كلمة حب واحدة.. كل ما قاله لها انها ملأت حياته وأنسته وحدته وغربته، كما انه ملأ حياتها وأنساها وحدتها وغربتها!!

وكانت لها عادة غريبة.. فقد كانت تترك له كل ليلة قبل النوم، خطابا تحت الوسادة، يتلوه وهو بجانبها، وكانت تضمن خطاباتها عواطفها ومشاعرها وما يعجز لسانها أن يعبر له عنه.. وقد عودته ألا يناقشها فيما تكتبه فى خطاباتها، فإن أراد أن يرد عليها، فله أن يرد بخطاب آخر يضعه تحت وسادتها.

وكانت خطاباتها قطعا أدبية رائعة.

كتبت له يوما تحدثه عن عمله «انى أعلم انك تكره العودة إلى مصر لأن هناك حربا تنتظرك. ولكنك ستعود وستحارب وستنتصر، لا لأنك من أنصار الحرب بل لانك تأبى أن تهزم»!!

وكتبت له مرة أخرى «انى لا أطالبك أن تحبنى ولكن فقط دعنى أحبك»!!

وكتبت له تصف له قصة لقائهما:

«ستمر أيام وأعوام وسنتساءل بعدها هل سمعنا بهذه القصة أم عشنا فيها!!»

وحدث يوما أن وجد تحت وسادته خطابا لم يستطع قراءته فقد كان مكتوبا بلغة استنتج انها اللغة الهولندية..

وسألها فحوى هذا الخطاب فصمتت ولم ترد، وألح عليها فأبت، وحاول أن يقنعها أن هذا الخطاب قد أصبح ملكا له وأن من حقه أن يطلع على فحواه، ولكنها أصرت على ألا تجيب..

وأثار اصرارها حاسة حب الاستطلاع فى نفسه - وهى أقوى حواسه!- وأغضبه صمتها، ففقد أعصابه وأمسك بها يهزها بعنف، ثم جذبها من شعر رأسها حتى أوقعها تحت قدميه وهو يصيح فى

http://www.maktbtna2211.com

وجهها: «تكلمى.. ماذا كتبت لى فى خطابك»!!

وبكت.. بكت بكل دموعها.. حتى نسى غضبه وهدأت أعصابه واحتواها بين ذراعيه يعتذر ويمسح دموعها بشفتيه.

وقالت وصوتها تقطعه دموعها: «ان هذا الخطاب يضم الشىء الوحيد الذى تجهله عنى.. لقد كتبت لك قصة أنشودة ليلى مارلين..»

□□□

أنشودة «ليلى مارلين»..

كان ذلك عام ١٩٤٣ وكان أحد الجنود الألمان يغنى هذه الأغنية عندما التقت به وحيدة بين حشائش حقل من حقول هولندا.. وتقدم إليها يحادثها فأجابت حديثه، ثم سارا معا متوغلين بين الحشائش، وبغتة ضمها الجندى إلى صدره وحاول تقبيلها، فدفعته بلطف ولكن تمادى حتى توحش، فتملصت من بين ذراعيه وجرت بعيدة عن الوحش، ولكن قدمها التوت، فوقعت على الأرض وأثناء وقوعها ارتطم رأسها بحجر ففقدت وعيها..

هذه هى كل قصة «ليلى مارلين» قصتها عليه فى همسات باكية ثم رفعت إليه عينيها وقالت من بين دموعها «ياصديقى.. لقد كذبت عليك انى.. انى لست عذراء»!!

ومسح بيده على شعر رأسها وقال فى هدوء: «أهذا كل شىء.. رفهى عنك فإنى أعلم ذلك منذ اليوم الأول»!

وأدارت له رأسها فى حركة عصبية وقد كفت عن البكاء فجأة، وصاحت وكأنها تستنكر ما سمعت:

- ماذا تقول؟

وقال مرة ثانية فى هدوء: «قلت انى أعلم منذ اليوم الأول انك لست عذراء»!!

قالها وهو يظن انه لم يقل اثما، ولكنها قفزت من مكانها كأن

http://www.maktbtna2211.com

الشيطان نفخ فى جسدها وتقدمت إليه وفى عينيها نظرات تحرق وجهه وصاحت وهى لا تكاد تتمالك كلماتها:

- أتعنى ان.. ان.. أيها المصرى الملعون..!!

ثم اتجهت نحو باب الغرفة وهى تتمتم بكلمات هولندية لم يفهمها، وحاول أن يلحق بها وأن يحول دون خروجها ولكنها التفتت إليه ورفعت يدها بغتة وصفعته صفعة لازال رنينها يدوى فى أذنه حتى اليوم..

وذهبت...

ولم تعد.. إنما أرسلت له من يحمل إليها ثيابها وحقائبها.

□□□

وهو لم يفهم حتى اليوم لماذا ذهبت ولماذا لم تعد، ولكنه يعرف أن هناك هنات تافهة قد تجرح كبرياء المرأة أكثر مما تجرحها صفعة، وقد جرح كبرياءها عندما أراد أن يواسيها فى قصتها. فقال لها - دون أن يقصد - انها امرأة كاذبة، وانه عاش معها هذه الأسابيع الطوال ومر يعلم انها كاذبة وانها ليست عذراء، بل امرأة!!!

لقد كذبت عليه لأنها أرادت أن تخفى جرحها. فلما قال لها ان جرحها كان أكبر من أن يخفى عليه.. هجرته، لأن المرأة قد تعترف لك بأنها كذبت، ولكنها تأبى عليك أن تكشف كذبها بنفسك..

وربما كانت تنتظر بعد أن سكبت بين يديه اعترافها، أن تسمع منه كلمات الغفران، وأن ترى فى عينيه انعكاس مأساتها، وأن يحبها شفقة بها مادام لم يحبها لمجرد الحب، ولكن شيئا من هذا لم يحدث وسمعت منه الشىء الوحيد الذى لم تتوقعه منه، عندما قال لها:

- انى أعلم منذ اليوم الأول.. انك لست عذراء!!

اذن فقصتها التى حرصت على اخفائها عنه كانت بالنسبة له أتفه

http://www.maktbtna2211.com

من أن تكون مأساة، وهذا الحرص الشديد على أن تكون أمامه عذراء كان فى عينيه مجرد رياء، وهذا الكبت القاسى الذى تحملته وهى تعيش معه على فراش واحد، قد أدى بها إلى لا شىء سوى انه كان يسخر منها بينه وبين نفسه.. كان يسخر منها كل يوم وكل ليلة وكل لحظة من لحظات حياته معها..

لقد كان يسخر منها ومن عذريتها الموهومة - أو هكذا ظنت - فهجرته..

هجرته وكل ذنبه انه كان «قليل الذوق» وانه لم يعرف يعامل امرأة كاذبة.. حاولت بكذبها أن ترضى كبرياءها..

لقد ذهبت من حياته إلى الأبد..

وتركته لقصته الثانية.

http://www.maktbtna2211.com

السكرتيرة الحسناء

http://www.maktbtna2211.com

كان أشد ما يخشاه خلال رحلته هو ضياع الوقت.. وقد قضى ثلاثة أيام فى لندن وهو تائه لا يعرف أين يضع قدمه، واشترى أكثر من خريطة جغرافية، وأكثر من رسم تخطيطى لطرق المواصلات والمترو، ولكنه كان يتوه فوق الخرائط والرسوم أكثر مما هو تائه بين الشوارع.

وكان يكره أن يلجأ إلى أحد مكاتب السياحة لتنظم له رحلته وتعين له حارسا يطوف به المتاحف وأعلام المدينة ويحدثه حديثا مملا معادا، كأنه طفل أو طالب فى احدى الرحلات المدرسية. ثم انه كان يريد أن يرى أشخاصا أو يطرق أبوابا لا تدخل فى اختصاص شركات السياحة، فكان يضطر أن يقتحم طريقه اقتحاما وأن يتعثر الساعات بل الأيام باحثا عن مواضع قدمه، وصرف نصف نقوده فى ركوب سيارات الأجرة وكانت دائما الملجأ الأخير عندما يتعبه سؤال الناس وسؤال رجال البوليس.

وعندما وصل إلى باريس خشى أن تضيع منه الساعات والأيام التى أضاعها فى لندن وخشى أن يقاسى ما قاساه من سؤال الناس ورجال البوليس، خصوصا انه لا يجيد الفرنسية قدر اجادته للانجليزية.

ولكن الفتاة الهولندية التى التقى بها وعاشت معه، أغنته عن كل ذلك، فقد كانت له بمثابة سكرتيرة تدله على طريقه، وتتلقى رسائله

http://www.maktbtna2211.com

التليفونية، وتقرأ له الصحف الفرنسية وتذهب معه إلى دور الحكومة لتترجم له ما يريد أن يقوله وما يقال له.

وعندما هجرته أحس انه فقد كل شيء حتى نفسه، وأصبح تائها في باريس لا يدرى كيف يذهب ويجيء ولا كيف يؤدى عمله.

وفكر أن يستخدم سكرتيرة.

لماذا لم يفكر في استخدام سكرتير؟

لا يدرى.. وقد يكون تفكيره قد اتجه إلى سكرتيرة بحكم العادة الشائعة بين الناس، فقد اعتاد رجال الأعمال أن يستخدموا سكرتيرات لا سكرتيرين!! ثم ان مصاحبة سكرتيرة مفروض انها ستصحبه طول يومه في غدواته وروحاته أخف على النفس من مصاحبة سكرتير!!

وقد تردد كثيرا قبل أن يحاول البحث عن سكرتيرته لأنه يكره أن يبدو كأصحاب الأعمال، ويكره أن يقيد نفسه إلى انسان سواء كان رجلا أو امرأة، ولكنه بعد أن تحادث تليفونيا مع احدى الادارات الفرنسية وعجزت أذناه عن التقاط اللهجة الفرنسية الباريسية صمم على أن يكون له سكرتيرة، ولو لتتولى عنه المخاطبات التليفونية!

وقابل مدير الفندق وأخبره بحاجته إلى سكرتيرة، فابتسم الرجل ابتسامة خبيثة وغمز بعينيه غمزة ذات معنى، ثم مال على أذنه هامسا: «أتريدها سمراء أم شقراء»!

وفهم ما يقصده مدير الفندق فرد ابتسامته بأحسن منها وحاول أن يفهمه انه لا يريدها سمراء ولا شقراء، بل يريدها سكرتيرة.. سكرتيرة بحق وحقيق!!

ولكن أصحاب الفنادق في باريس بل كل أهل باريس، لم يتعودوا أن ينظروا نظرة نقية خالصة إلى أى أجنبى، فكل أجنبى في باريس - كما يتصورون - يبحث عن امرأة، وسواء أطلق عليها لقب سكرتيرة أو صديقة أو خادمة فهو يريدها أولا كامرأة..

http://www.maktbtna2211.com

وأشار مدير الفندق إلى فتاة جالسة فى بهو الفندق خلف مكتب تبيع تذاكر حفلات المسرح والأوبرا، وقال وهو يحاول اغراءه بنظرات عينيه وحركات يديه:

- ما رأيك فى هذه الفتاة.. انها سكرتيرة طيبة.. ثم انها قنوعة لن تكلفك كثيرا!!

واضطر أن يثور وأن يخبط بيده على مكتب مدير الفندق ويسبه ويشتمه باللغة العربية - طبعا!! - ثم يحاول أن يقنعه بأنه يريد سكرتيرة لتعاونه، لا لتعرض عليه ساقيها، وأنه يريدها فتاة شريفة جادة تتكلم الانجليزية.

وثار مدير الفندق بدوره، وكل فرنسى ينتهز أى فرصة ليثور فيها.. والثورة عندهم فن له دراسات فى طريقة اخراج الألفاظ وتوجيه الاشارات وتهويش خلق الله!! وقال الرجل أثناء ثورته ما معناه ان حضرة الزبون غبى، وأنه ليس هناك أى داع يدعوه لاستخدام سكرتيرة لا تشاركه الفراش!

ثم قطع ثورته فجأة وسأله:

- هل حقيقة انك تريد سكرتيرة.. سكرتيرة تكتب على الآلة الكاتبة وتختزل.. الخ.

- نعم.

- لماذا لم تفهمنى هذا من قبل!!

ثم وضع رأسه بين يديه وفكر قليلا ثم قال: «الطريقة الوحيدة أن تنشر اعلانا فى الجرائد»!!

وفى صباح اليوم التالى ظهر فى جريدتى «الفيجارو» و«البارى بريس» اعلان من أربعة أسطر نصه:

«مصرى يبحث عن سكرتيرة محترمة تجيد اللغة الانجليزية، والاتصال بفندق دى لوفر».

وبعد ظهور الجريدتين بنصف ساعة اتصل به خادم الفندق فى

http://www.maktbtna2211.com

غرفته وقال له:

- ان الآنسات فى انتظارك.

وسأل:

- أى آنسات؟

فقال الخادم:

- ان خمسا وعشرين فتاة فى انتظارك تلبية لاعلانك.. وقد طردنا الباقيات على أن يأتينك غدا اذا أردت!

ووقع قلبه فى قدميه..

كيف يقابل هؤلاء الآنسات؟ وكيف يفاضل بينهن؟ وكيف يناقشهن فى طبيعة العمل الذى يريد أن يعهد به إليهن وهو نفسه لا يعلم شيئا عن هذا العمل سوى انه تائه فى باريس؟

ونزل إلى بهو الفندق، وفى طريقه إلى الغرفة الخاصة التى أفردوها له ليستقبل فيها الآنسات، سمع بأذنيه همسات النزلاء ورأى ابتساماتهم وفيها من السخرية أكثر مما فيها من الاحترام والتقدير.

وادخلوا إليه الآنسة الأولى..

وما كاد يرفع عينيه إليها حتى أحس بنار تلهب وجنتيه وأحس بأعصابه تتخلى عنه حتى ارتعشت أطرافه واهتزت ركبتاه..

من قال انها آنسة؟ انها امرأة.. امرأة من زمن بعيد!! وتحت جفنيها من الأنوثة الساخنة المثيرة ما يجعل من الطفل رجلا بل حيوانا.. انها دعوة حية إلى مائدة الشيطان.. وأنشودة معربدة توقظ باريس كلها وتملأ شوارعها ضجيجا.

كانت شقراء فى لون شعرها صفار الشمس عند المغيب، وفى عينيها لون العسل الذى لا تتحمل النفس حلاوته الزاعقة، وفوق شفتيها لون الدم.. دم الأعصاب التى تقطعت بين أسنانها.. وكانت مرتدية ثوبا لو اشترى لها اثنين مثله لاعلن افلاسه، وفى أصبعها

http://www.maktbtna2211.com

خاتم من الماس يحرضه على أن يكون شيوعيا!

وجلست قبالته وساقاها ـ المكسوتان بالنايلون ـ بين عينيه وحاول جهده أن يضبط أعصابه ويطفىء النار التى اندلعت فى أطرافه، ولكنه أحس بصوته يخرج من حلقه متقطعا مرتعشا وهو يسألها:

ـ هل تجيدين الانجليزية؟

وأجابت وفى صوتها رنين الخطيئة:

ـ طبعا!

ولكنه عندما سمعها تتكلم الانجليزية تأكد انها لا تعلم منها إلا ما يكفى لاستدراج ضابط أمريكى ممن لا يزالون يحتلون فرنسا الحرة!

وعاد يسألها:

ـ هل تكتبين على الآلة الكاتبة؟

وأجابته محرجة وهى تحاول أن تخفى حرجها بابتسامة هاتفة:

ـ هل تحتاج كثيرا إلى الآلة الكاتبة.. وعلى كل سنجرب!

قال:

ـ أخشى أن يكون المرتب ضئيلا!

قالت:

ـ المرتب لا يهم.. انما المهم طبيعة العمل!

قال:

ـ اذن اتركى لى اسمك وعنوانك وسأتصل بك غدا..

وقبل أن تغادره التفتت إليه وسألته: ما هو عملك؟

قال: صحفى..

ورأى سحابة من خيبة الأمل تظلل وجهها، ثم لوت شفتيها وأدارت ظهرها وانصرفت عنه، وقد تعلقت عيناه بالجسد الفاره الطرى وهو ينثنى فى مشيته فى صمت صاخب.

http://www.maktbtna2211.com

وما كادت تختفى حتى حل رباط عنقه وجمع أنفاسه ليستريح، ولكنهم ما ان ادخلوا إليه «الآنسة» الثانية حتى خلع سترته وطلب كوبا من الليمون المثلج فإن النار قد اشتعلت من جديد!

واذا كانت الأولى تابعة للشيطان، فالثانية كانت الشيطان نفسه.. فهى لم تحاول أن تفرض نفسها كسكرتيرة بل وفرت على نفسها التمسك بحرفية الاعلان، وجلست وكتفها تكاد تلامس كتفه، وساقاها تكادان تلتفان حول ساقه، ثم أخرجت من حقيبتها علبة سجاير مذهبة انتقت منها واحدة، ومالت عليه حتى صهرت أنفاسها خياشيمه، وقالت وليس بين فمها وفمه سوى بقية من ارادته:

- تسمح.. نار!!

وأشعل لها سيجارتها، وقال بعد أن تنحنح مرة واثنتين وثلاثا حتى يتمالك صوته:

- أين اشتغلت قبل الآن؟

- فى الفولى برجير!

- سكرتيرة؟

- بل راقصة!

- ولكنى أريد سكرتيرة!

- ألا أعجبك كسكرتيرة!

وزادت فى اقترابها حتى ظن انها ستجلس على ركبتيه، وسبح بين سحب عطرها حتى كاد يغيب معها عن الدنيا..

وأحس بنفسه كأنه انسان يقاوم طوفونا من الاثم، فأخذ يبتعد عنها فى تردد يشوبه خجل وخوف، ولو رآه أحد فى هذه اللحظة، لضحك كما يضحك عندما يشاهد منظرا غراميا فى أحد أفلام لوريل وهاردى أو بودابوت ولو كاستلو!!

وسمع صوتها يأتيه من بين ضجيج أنوثتها ويعيد عليه السؤال:

http://www.maktbtna2211.com

- ألا أعجبك؟

فقفز من كرسيه ووقف فى وسط الغرفة وصاح وكأنه يطرد الشياطين من حوله:

- انك تعجبيننى جدا.. جدا يا آنسة.. ولكن أرجوك أن تتركى لى اسمك وعنوانك وسأتصل بك فيما بعد!!

وقامت تنصرف وعلى فمها ابتسامة كأنما كانت واثقة من النصر واثقة من أنه سيتصل بها فيما بعد.

أما هو فقد أحس انه هزمها وهزم فتنتها وانتصر على الحيوان الذى كان قد بدأ يستيقظ فى نفسه.

وأدخلوا إليه الثالثة والرابعة والخامسة وكلهن نساء بين الخامسة والعشرين والثلاثين من العمر، وكانت بينهن امرأة عجوز فى الخمسين لم ير استخدامها لأنه قبل كل شىء يحب الجمال، حبا مجردا كحب الفنان.. ثم انه لا يستطيع أن يربط نفسه إلى امرأة ليست فى سنه وليس لها نشاطه ولا عقليته.

ويذكر ان واحدة من هؤلاء «الآنسات» دخلت إليه وما كادت تراه حتى صاحت:

- انك صغير جدا يا حضرة.. لقد كنت أظنك رجل أعمال.. عجوزا ذا كرش كبير وأنف منقر.. انى سعيدة الحظ فإن شكلك يشجعنى على العمل..

وكانت امرأة عصبية تقذف بكلماتها فى سرعة المترليوز وقد أنهى حديثها بالجملة المعتادة «اتركى اسمك وعنوانك».

وبعد أن استقبل الفتاة العاشرة، ضجت أعصابه وأحس بنفسه متعبا منهوكا لا يستطيع أن يرى وجها آخر ولو هبط عليه من السماء، فنادى خادم الفندق وطلب إليه أن يصرف الفتيات الباقيات على أن يحضرن غدا.

وخرج إلى شرفة الفندق يستنشق الهواء ويتسرد أنفاسه التى

http://www.maktbtna2211.com

تقطعت بين سيقان حضرات الآنسات!!

وتساءل، هل هؤلاء هن سكرتيرات باريس؟ أم أن صيغة الاعلان كان تنم على أنه يطلب امرأة فراش..

«مصرى يريد سكرتيرة» هكذا قال فى الاعلان..

وهنا تذكر انه يكفى ان تقول فى باريس انك مصرى، حتى ترتمى فى أحضانك ألف امرأة.. من ذلك الصنف من النساء!!؟

وأحس وهو جالس فى الشرفة بانسان يقف فوق رأسه وأنفاس تتردد فى اذنه.. ورفع عينيه فإذا به ينتقل فى لحظة من باريس إلى القاهرة!

كانت فتاة سمراء كفتيات القاهرة اللاتى لم تمتزج دماؤهن بالدم التركى أو الشامى أو المغربى.. وكان فى سمرتها سحر الشرق كله، ودفء شمس أسوان فى شهر يناير، وقد عاش عمره كله فى حب سمراء، وكانت لفتة واحدة إلى هذه الفتاة كافية لأن تفتح باب ذكرياته على مصراعيه، وأن تقيد عينيه إلى عينيها، ليستعيد بينهما ذكرى أسعد أيام العمر وذكرى البيت الصغير الهادىء الذى تركه وراءه قبل أن يبدأ رحلته، وترك على بابه قلبه وحسه وكل أمله.

وابتسمت الفتاة فى ارتباك وخجل، وكانت اذا ابتسمت قفزت إلى وجنتيها غمازتان من «طابع الحسن» يضطرانك إلى الابتسام إن لم يكن إلى التقبيل.. وقالت:

- هل أنت صاحب الاعلان؟

- نعم.

- انى أشتغل سكرتيرة فى وزارة الداخلية الفرنسية.. وانى الآن فى اجازة تستغرق شهرا، وقد رأيت أن أعمل خلال هذه الاجازة لانى فى حاجة إلى نقود وإلى ملء فراغ وقتى و..

وقاطعها وهو لايزال ينظر إليها:

- ولكن المرتب ضئيل.

http://www.maktbtna2211.com

- كم؟
- ألفان وخمسمائة فرنك فى الاسبوع خلاف المصاريف..
- هذا يكفينى..

ولم تقدم له شفتيها ولا سحر عينيها كشهادتى حسن سير وسلوك كما فعلت باقى الآنسات، بل أُخرجت له من حقيبتها بطاقة تحقيق شخصية تثبت انها موظفة بوزارة الداخلية الفرنسية.

وأصبحت سكرتيرته..

وكان اسمها «ميشلين»..

وسألها كيف ولدت سمراء فى باريس، والسمراوات هناك نادرات وخصوصا صاحبات هذه السمرة الشرقية الطيبة، فروت له قصتها:

ان أمها من سكان جزائر المارتنيك، امرأة خالصة لله لم تلوثها المدنية ولم تغادر قط قريتها الراكعة عند أقدام المحيط الهادى.. وعاشت إلى أن ماتت وهى ترتدى الثوب الوطنى الذى يهب الجسد للشمس لتباركه وتطهره بالدفء وحرارة الوجود.

أما أبوها ففرنسى خدم وطنه فى جزائر المارتنيك وتزوج أمها لأنها كانت الحسن كله ولأنه كان وحيدا.. وما أن سنحت له الفرصة ليعود إلى باريس حتى ترك زوجته وابنته إلى الأبد..

وقد ماتت أمها وهى فى الخامسة من عمرها، فأخذوها من بين الورد وزهور الياسمين إلى باريس لتبحث عن أبيها، وما أن وجدته حتى أدخلها أحد ملاجىء الأيتام حيث عاشت طفولتها إلى أن بلغت الخامسة عشرة فخرجت تبحث عن عيشها..

وقالت وفى عينيها دمعة تحاول أن تمسحها بابتسامة:

- انى سمراء لأمى.. ويقولون إنى متوحشة مثلها!!

وكان هذا هو كل ما دار بينهما من الحديث الخاص.. وحاول بعدها أن يحتفظ دائما بمظهر صاحب العمل وان يعاملها كموظفة

http://www.maktbtna2211.com

لديه.. كسكرتيرة.. سكرتيرة ليس لها حق الاقتراب من شفتيه كما اعتدنا أن نسمع عن السكرتيرات!!

وكانت تأتيه كل صباح وفى يديها آلتها الكاتبة، فتلخص له الجرائد الفرنسية ثم تكتب له خطاباته التى يرسل بها إلى لندن وبرقياته التى يرسل بها إلى القاهرة، وتتولى عنه الاتصالات التليفونية، وتذهب إلى مكتب مسيو «فوشيه» مراسل الأهرام الخاص لتأتى له بأعداد جريدة الأهرام.. ثم يخرجان معا عند الظهر لتدله على طريقه إلى الادارات الفرنسية ودور الصحف التى يريد الاتصال بها..

وكان يعجب بها ويعجب بنشاطها وذكائها، ويكاد يهوى عليها تقبيلا عندما تجلس إلى آلتها الكاتبة وقد غرست القلم الرصاص فى شعر رأسها وأخرجت لسانها تضغط عليه بأسنانها، وقد أخذت أصابعها الرقيقة تتراقص فوق الحروف فى رشاقة أعواد الزهر.

ولكنه لم يحاول أبداً أن يظهر لها اعجابه ولم يحاول أبدا أن يكون لها أكثر من «رئيس»، ورغم ذلك فقد أحس انه يجب أن يتنازل عن بعض «قنزحته» ويجب أن يقربها إلى قلبه كصديقة ليس إلا، فبدأ يحادثها وخاصة وقت الغداء - وكانا دائما يتناولان الغداء معا - عن نفسه وعن عمله وعن أصدقائه وقص عليها قصة حبه.

انه يحب فتاة فى مثل سنها ولها نفس سمرتها بل ونفس ابتسامتها، وهو حب طال وسيطول إلى الأبد، وهو كل ما يحرص عليه فى حياته، وهو ملجأه الأخير عندما تخونه أعصابه أمام معركة الدنيا.. و..

وقاطعته قائلة فى هزل تحاول أن تخفى به لهجة الجد:

- اذا كانت الأخرى فى مثل سنى وفى مثل سمرتى ولها ابتسامتى.. فهناك اذن أمل فى أن أحتل مكانها؟!

قال وهو يتنهد:

http://www.maktbtna2211.com

- ابدا لن تكونى ابدا مثلها ولن تحتلى مكانها أبدا!!

واكتفت بأن تضحك قائلة:

- غريبة.. الازال يوجد رجال مخلصون!!؟

وقد علمت بعد أيام انه ليس ثريا كما كانت تعتقد وكما بدا للناس من اعلانه الدى نشره فى الصحف.. فبدأت تنتقى له المطاعم الرخيصة وتعد فى كل صباح نقوده، وتقيد فى كتاب خاص ما صرفه وما بقى له، بل انها بدأت تحاول أن تدفع ثمن طعامها وتدفع له ثمن تذكرة المترو أو الاوتوبيس، وبدأت تتمنع عندما يعطيها مرتبها آخر كل اسبوع، وقد قرب كل ذلك بينه وبينها وأصبحا صديقين أكثر منهما رئيس وسكرتيرة.

وبدأ يحس بصداقتها تتطور سريعا إلى ما هو اكثر من الصداقة.. وكانت أحيانا عندما تعرض عليه بعض الأوراق تميل عليه برأسها حتى يتوه فى ليل شعرها، ويفتت أعصابه هذا العطر الغريب الذى اعتادت أن تتضمخ به والذى كانت تسميه «نزوتى»..

وكانت ايديهما أحيانا تتلامس وحديثهما يصل فى حالات أخرى إلى مواضع حساسة، وكان فى هذه الحالات يتعامى حتى لا يتمادى..

وقد تعمد دائما ألا يدعوها إلى سهرات المساء، وألا يراها بعد انتهاء موعد عملها فى السابعة مساء حتى لا يزيدهما الليل اغراء..

ولكن، حدث مرة أن عاد إلى غرفته فى منتصف الليل فإذا به يجدها جالسة إلى آلتها الكاتبة تكتب والتفتت إليه وكأنها فوجئت ثم قالت:

- أهذا أنت.. انى آسفة، ولكن كان على أن أكمل تلخيص الصحف فاضطررت أن أعود بعد العشاء!!

وكانت كاذبة فهو لا يهتم أبدا بتلخيص الصحف كل هذا الاهتمام ولم يطالبها يوما بألا تؤجل عمل اليوم إلى الغد!!

http://www.maktbtna2211.com

وفهم كل شيء، وخشى كل شيء، فقال وهو يتردد:

- لقد جئت لأنى نسيت محفظتى.. وسأعود، فهناك سيارة لبعض الأصدقاء فى انتظارى!!

وكان هو أيضا كاذبا.. وكانت تعلم انه كاذب!!

وتظاهر بأنه يبحث عن محفظته، ثم قال «بون سوار» وخرج.

ولم تتكلم ولم ترد عليه تحيته، ولكنه سمع صوت الآلة الكاتبة يشتد ويختلط حتى خيل إليه إنه صراخ امرأة!

□□□

ولم يتحدثا فى الصباح عن الليلة السابقة، ولم يحاول حتى شكرها على سهرها فى تلخيص الجرائد!!

وسارت حياتهما من جديد هادئة عادية فلم يحدث ان وجدها مرة أخرى فى غرفته بعد منتصف الليل، ولم يحدث أن دعاها مرة لقضاء السهرة معه.. ولكنه كان يرى فى عينيها دائما نظرة توسل وكانت شفتاها أحيانا ترتعش كلما اصطدمتا بعينيه.. وكان يرى ويفهم، وهو ليس جمادا، ولكنه كان يحاول دائما أن يكون جمادا!!!

إلى أن انتهت مدة اقامته فى باريس، وفى اليوم الأخير زارا معا كنيسة «القلب المقدس» وما أن وطئت قدماها أرض المعبد حتى ركعت على ركبتيها ورسمت علامة الصليب فوق صدرها، وقامت واشترت شمعة أشعلتها تحت أقدام صورة مريم العذراء ثم غابت فى صلاة طويلة..

وعندما انتهت من صلاتها كان الماء المقدس - ماء عينيها - يغسل وجهها..

وكاد قلبه يتمزق.. فقد شاهد ساعتها روحها.. الروح الطيبة البكر عندما تتجرد عن الحياة وتهب نفسها لله، وقد رأى نفسه فى صلاتها كما رآها فى عينيها، ورأى الجسد المعذب عندما يبتهل إلى

http://www.maktbtna2211.com

ربه ليريحه من دعوات الشيطان، ثم يرتعش وكأن روح القدس قد مسته لتطهره..

واكتفى بأن يضغط على يدها وهى تمسح دموعها.. وأحس وهو فى صحن المعبد انه.. قاهر شيطان!

وعندما وقفت تودعه ابتسمت وقالت:

- سأودعك على طريقة الفرنسيين..

ثم مالت عليه وطبعت على كل من وجنتيه قبلة.. قبلة نقية كقطرات الندى.. ثم رفعت إليه عينيها وقالت ودموعها تكاد تقفز من بين جفنيها:

- تذكرنى دائما.. كصديقة لا كسكرتيرة!

ووصل من باريس إلى «شامونيكس» إلى جنات الله التى تجرى من فوقها - لا من تحتها - الأنهار.. وقضى هناك أربعة أيام بين الثلج والجبال والغابات..

أربعة أيام كان له خلالها أربع قصص..

وفى اليوم الرابع والأخير، وكان يستحم فى بحيرة هناك ترقد بين أحضان الجبال، اذ بوجه يقفز قبالته فجأة من تحت الماء، واذا به يصيح: «ميشلين»..

وفى حلاوة المفاجأة أخذها بين ذراعيه وقبلها.. وكانت القبلة الأولى.. سريعة.. خاطفة.. فيها من الصداقة أكثر مما فيها من حب..

ولم تقل انها لحقت به، بل قالت انها جاءت لتستريح، بعد أن بقى على انتهاء اجازتها خمسة أيام..

ولم يقل لها أين يقيم، ولا متى يسافر، ولا كيف يراها، بل اكتفى بأن دعاها إلى تناول الشاى فوق الجبل الأبيض، وتحادثا هناك عن جمال الطبيعة فى رقة مفتعلة وابتسامات مترددة ونظرات تخشى أن تلتقى حتى لا تفتضح. ثم افترقا على أن يلتقيا غدا..

http://www.maktbtna2211.com

وكان كاذبا فهو فى الغد سيسافر.. سيغادر فرنسا كلها..
افترقا وقد غفر لنفسه القبلة الأولى!!
وقضى الليل مع بعض الأصدقاء ثم عاد إلى غرفته بالفندق بعد منتصف الليل! وما كاد يغلق الباب وراءه حتى دخل الخادم يحمل زجاجة من الشمبانيا وكأسين، وقدم له ورقة مطوية قرأ فيها سطرا واحدا:
«كأس لك وكأس لمن تحب أن تدعو»!!
والامضاء.. «ميشلين!».

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

وكانت تقيم فى الحجرة المجاورة!!!

http://www.maktbtna2211.com

أميرة روسيا

http://www.maktbtna2211.com

... وفى صباح اليوم التالى استقل القطار الذاهب إلى مرسيليا وجلس فى مقعد يستعيد ذكرياته عن «شامونيكس»، وبين يديه الدموع التى ودعته بها «فتاة المارتنيك».

كان قد سمع عن شامونيكس من أصدقائه، وقرأ عنها فى قاموس «ميشلان» الذى يصحب كل غريب فى فرنسا.. انها بلدة صغيرة ترقد فوق قمة الجبل الأبيض على حدود سويسرا وكأنها عذراء عارية تبحث عن الدفء بين الثلوج.. وقد اختارها من بين بلدان فرنسا لأن الجليد يكسوها صيفا وشتاء، وهو لم ير فى حياته الجليد، ولم يتزحلق أبدا على الثلج، وكان رأسه مليئا بقصص قصها عليه الأستاذ التابعى عن حياته فى سان موريتز بين الثلوج التى تذيب القلوب، فقرر أن يقضى الاسبوع الأخير الذى بقى له من رحلته فى شامونيكس، وأن يقضيه فى هدوء يريح شبابه الذى أنهكه بين لندن وباريس.. ويريح أعصابه التى مزقها فى سبيل معرفة كل شىء وتذوق كل شىء.

قرر أن يعيش سبعة أيام مستلقيا على مقعد مكتفيا من الجمال بجمال الله، ومن الشباب باستعادة ذكرياته وذكريات التابعى. بل أنه أخذ معه زجاجات من عصير البرتقال ليغذى بها أعصابه، وعشرات من الأدوية المقوية والمطهرة للمصارين بعضها وصفها له أطباؤه وبعضها لم يعلم بها إلا من اعلانات الصحف.

http://www.maktbtna2211.com

ولكل هل رحم شبابه وأعصابه؟

□ □ □

انه يذكر يومه الأول فى شامونيكس. لقد صعقه جمال الثلوج التى تغطى قمة الجبل، وكأنها عرش الله، وأذهلته هذه الأنهر الصغيرة التى تنحدر فى شلالات لها خرير كأنه نغم المجهول فى اذن الوجود، وقد أثار هذا الجمال وهذا النغم شبابه، وفتحا قلبه الذى كان ينوى أن يغلقه على ذكرياته ولو إلى حين..

وهو دائما ضعيف أمام الجمال الجديد عليه، فتت أعصابه وحطم ارادته، فنسى الهدوء الذى جاء من أجله، وزجاجات عصير البرتقال التى حملها معه، ومصارينه التى اتعبته ولازالت تتعبه.. نسى كل هذا وسار فى أنحاء البلدة الصغيرة، يستجدى مغامرات الشباب.

وكان أهل البلدة - أو على الأصح فتياتها - كراما، فلم يبخلوا عليه بقلوبهن ولا بشبابهن، بل انهن تنافسن فى اكرامه، وعشقن هذه القصص التى كان يرويها لهن فى جلساته بلغته الفرنسية الركيكة، وهى قصص أروع ما فيها انها كاذبة.. قصص عن الشرق الذى يعيش بين أبخرة الحب، وعن رجال الشرق الذين وسعت قلوبهم حب السماء والأرض، وعن «الحريم» الذى تذوب فيه عشرات النساء تحت حرارة رجل واحد!

وكانت هذه تجارته.. يبيع القصص لقاء الأجساد.. ولكن من الرابح.. البائع أم المشترى؟ لقد ربحن شبابه، وساعة قضينها فى دنيا خادعة صورتها لهن قصصه، ولم يخسرن سوى أتفه ما يملكن.. جسد تعودن أن يتمتعن به أكثر مما يحترمنه.

أما هو - البائع - فقد خسر شبابه، وخسر راحته، وخسر أعصابا ضاعت فى ضعف ارادته، ولم يربح سوى ساعة كذب فيها، وذكريات ليس من حقه اليوم أن يستعيدها.

http://www.maktbtna2211.com

وكانت ليلة صمم أن يوقف فيها تجارته وأن يعلن ان «المحل مغلق حتى صباح اليوم التالى» فقد مل كثرة البيع والشراء، وإجادة المساومات حتى لم يعد لها لذة المغامرة..

وخشى إن قضى ليلته هذه فى غرفته بالفندق أن يصيبه السأم أو أن تضعف ارادته فيفتح بابه لأول من يطرقه من زبائنه.. فخرج إلى حانة «الزنوج الخمسة».

انها ليست حانة بل مرقص.. مرقص ضيق الجنبات لا يضم إلا عشر موائد ولا يقل عدد المترددين عليه فى الليلة الواحدة أقل من مائتين.. ولك أن تتصور كيف يجتمع مائتا مخلوق حول عشر موائد صغيرة!!

وتعزف فى هذا المرقص فرقة مكونة من زنوج أمريكيين تفح موسيقاهم كفحيح النار فتلهب القلوب والرؤوس وتذيب مدنية عشرين قرنا مضت، فينقلب القوم إلى برابرة متوحشين يرقصون رقص القردة، ويدبون دبيب البهائم، ويصرخون صرخات الذئاب، وتختلط أجسادهم وتلتصق، وكأنهم قبيلة جنت فى عبادة الشيطان..

دخل إلى تلك الحانة أو هذا المرقص، فتقدم إليه صاحب المحل يحييه ويسير بين يديه، والتفت إليه الخدم يبتسمون وينحنون، فقد عودهم منذ ثلاث ليال ان يعاملوه كأحد خلفاء هارون الرشيد لكثرة ما سكب من ماله ومن شبابه على موائدهم العشر..

وقام الزنوج الخمسة بمجرد أن دخل، وعزفوا أنشودة خاصة به عودهم ان يعزفوها له كلما رأوه، وهى أنشوة فرنسية مطلعها «اذا كنت تريد أن تعرف عيون حبيبتى، فانتظر الليل حين تلمع النجوم فى سوادها!»

وقد اختار هذه الأنشودة كنغم خاص يستقبل به كلما دخل «حانة أو مرقص»، لا لأنه معجب بها، ولا لأنه تربى على أن يستقبل بنغم خاص، ولكن لأنه رأى بعض أصحاب الملايين ورأى الوجيه عبدالله

http://www.maktbtna2211.com

نجيب والوجيه فضل الله مرزا، يتبعان هذه العادة فى باريس، فيمنحان رئيس الجوقة الموسيقية هبة من المال فيعزف لحنا خاصا يلفت الأنظار إليهما.. وهو طول عمره يحقد على أولاد الذوات، فأراد أن يقنعهم - رغم انه ليس لبن ذوات ولا صاحب ملايين - انه يستطيع أن يلفت إليه الأنظار ويستطيع أن يأمر فيعزف له نغم خاص، لمجرد انه يستطيع أن يمنح رئيس الجوقة خمسة آلاف فرنك لم يرثها ضمن ما ورثه عن أبيه بل كسبها بعرق جبينه وعصارة روحه.

وجلس إلى «البار» يحتسى كأسا، ويلتفت بين كل رشفة وأخرى ليحادث صديقا طارئا أو يرد ابتسامة باهتة لصديقة من صديقات الأمس.. وبين لفتاته لمح وجها متجها إليه..

انها امرأة فى الثلاثين من عمرها، فى عينيها هدوء العاصفة وعلى شفتيها حمرة الليل.. وكانت تنظر إليه فى احتقار!!

وتشاغل عنها وعاد إلى كأسه يرشفها وإلى من حوله يحادثهم ويبادلهم الابتسامة ثم وقعت عيناه عليها مرة ثانية.. على المرأة نفسها، وكانت لاتزال تنظر إليه.. وفى احتقار!!

ولم يتمالك غضبه وحاول أن يرد احتقارها باحتقار، ولكنها قابلت نظرته التى حاول أن يودعها جميع شتائم بلده من أول «يا سم كده» حتى «يادم»، قابلتها بابتسامة ساخرة كانت صفعة الهبت كرامته، فالتفت إلى «البارمان» وسأله فى همس:

- هل تعرفها؟

وأجاب الرجل وهو ينظر من جانب عينه:

- لا.. ولكنها لن ترفض مراقصتك!!

وأزاح الكأس من أمامه ثم تقدم إليها وقد نسى وعده بأن «المحل مغلق حتى صباح اليوم التالى» وانحنى أمامها وطلب إليها أن ترقص معه، فلم تقل «بكل سرور» كما هى العادة ولم تقل «لا

http://www.maktbtna2211.com

ومتشكرة» كما كان ينتظر، بل تركته أمامها لحظات وهى تنظر إليه بنفس الاحتقار الذى راه فى عينيها لأول مرة، وعلى شفتيها نفس الابتسامة التى اعتبرها صفعة لكرامته، ثم قامت فى تكاسل واقتربت منه ليخاصرها.

وقال لها والموسيقى تعج من حولهما حتى اضطر أن يصرخ فى أذنيها ليسمعها صوته:

- لقد كنت تنظرين إلى قبل أن أطلبك للرقص؟

قالت فى هدوء:

- هذا صحيح.

وقال مبتسما وهو يحاول أن يمهد لاحدى قصصه التى يتاجر بها:

- هل كنت معجبة بى إلى هذا الحد؟!

قالت.. فى هدوء أيضا:

- لقد كنت احتقرك ياصغيرى!

وتوقف عن الرقص وصاح وقد طغت عليه نعرته الشرقية:

- كيف تجرئين!

ثم حاول أن يسحبها من يدها إلى خارج حلقة الرقص وهو يتظاهر بأنه ينوى أن يقتلها أو على الأقل يصفعها، ولكنها جذبته إليها فى قوة وهى تقول:

- يا صغيرى لقد حرمتنى الدنيا كثيرا من الملذات، فلا تحرمنى أنت أيضا من لذة احتقارك!!

وأحس ان هذه المرأة لا يمكن أن تؤخذ بالقوة، ولا يمكن أن يرد اهانتها بصفعها أو يقتلها.. أحس انها امرأة أقوى منه، وأقوى من أى امرأة مرت فى حياته وانها حصن مغلق على سر.. قد يكون سر مأساة وقد يكون سر الحياة.. ومن يعلم فربما كانت أميرة من

http://www.maktbtna2211.com

أميرات الدنيا التائهات فى مراقص فرنسا.. فعاد إليها وهو يغتصب ابتسامة من بين أسنانه، وقال فى صوت حاول أن يكون هادئا:

- انى لن أحرمك لذة احتقارى، ولكن هل أستطيع أن أعلم سر هذا الاحتقار حتى أشاركك لذته!!

ضحكت وقالت:

- انى أحتقرك، لأنه يخيل إلى انك طفل مدلل نشأت والذهب يجرى بين أصابعك وجئت إلى هنا لتبعثر ما بقى فى شبابك من شباب وتبعثر معه ملايينك.. انى احتقرك لانى أعرف شابا فى سنك يشقى ويكد ليطعم أما وأبا وثلاث اخوة.. احتقرك لانك عالة على الدنيا، تجنى منها ولا تعطيها شيئا، واحتقرك لانك مغفل قد جعلت فى كل جيب من جيوبك ثقبا.. واحتقرك أيضا لانك تفعل كل ذلك كأنه شىء طارىء عليك ويخيل إلى انك «محدث نعمة» أو ان أباك من أثرياء الحرب، وقد راقبتك ثلاث ليال فاقتنعت ان تصرفاتك كلها لا تدل على انك تعودت النعمة ولا تدل على انك تساوى شيئا بغير نقودك.. وثق انى لست وحدى التى احتقرك، بل أيضا صاحب المحل الذى انحنى أمامك، والخدم الذين وقفوا بين يديك، والزنوج الخمسة الذين عزفوا لك هذا اللحن السخيف!!

قالت كل هذا فى هدوء وبلا خوف من أن يصفعها، أو انها كانت واثقة من انه لو صفعها فلن يزيدها إلا شرفا!

قالت هذا، وكأنه موضوع عادى يصلح للمناقشة بينه وبينها لا كأنه اهانة لا تغتفر.. وقد تقبل منها كلامها دون أن يثور ودون أن يحس فى نفسه حاجة للثورة بل انه تبسم فى ارتياح وكأن كرامته قد ردت إليه غير مجرحة، ثم قال ساخرا منها:

- وأنت ألست غنية، ألست صاحبة ملايين، أو على الأقل أميرة من الأميرات؟

http://www.maktbtna2211.com

- وهل يبدو على شيء من هذا؟
- لو كانت الملايين بالجمال.. فثقى بانك أغنى صاحبات الملايين!
- انى اكتفى بأن تكون لدى ثروتك.. هل تقبل ان تمنحنى ثروتك؟
- بكل سرور.. لو كان لدى ثروة..
- هل تعنى انك لست غنيا؟
- انى أفقر من أى فقير فى مصر..
- لابد أن فقراء مصر من أصحاب الملايين!!
- صدقينى، انى صحفى أعيش بقلمى، وما أصرفه هنا هو «تحويش» العمر كله، وأصرفه لأنى مثلك احتقر الأغنياء وقد بلغ من احتقارى لهم انى أحاول أن أكون مثلهم، فكلما تجمع لدى «قرشين» قذفت بهما فى وجه الدنيا كما ترين!!!

ورأى ابتسامة رضاء تعلو شفتيها فجذبها من يدها خارج حلقة الرقص وهو يقول:

- تعالى أقص عليك قصتى..

وأخذها فى سيارة - كان أحد أصدقائه قد تركها له - إلى الغابة التى تقع فى أطراف المدينة.. ولم تكن قد مانعت وهو يسحبها إلى السيارة ولم تمانع وهو يجلسها بجانبه، بل ولم تسأله إلى أين.. ولم تحتج وهى تراه يتجه نحو الغابة التى لا تضم فى هذه الساعة من الليل إلا كل رجل وامرأة خافا من الناس ولم يخافا من الله.

كانت واثقة من نفسها إلى حد كبير وكانت تعامله كطفل يعبث بالدنيا، ولكن عندما أوقف سيارته تحت الشجر، والثلج الأبيض حولهما، وصوت الحياة ينبعث من خرير الأنهر، والدنيا صامتة إلا من همسات الشيطان.. بدأت تخاف وبدأت تضطرب وبدأت تحس انها امرأة.. وان الذى معها رجل..

وحاولت أن تتحدث ولكنها عادت وصمتت.. وحاول أن يتسلل بيده إلى شعرها الأسود الفاحم ليعبث فيه بأصابعه ولكنه عاد

http://www.maktbtna2211.com

فسحب يده..

وطال الصمت بينهما، وكان صمتا تزيده كل دقيقة خطورة.. وشعر الاثنان أن هذا الصمت سيؤدى بهما إلى عاصفة، فقاومت حتى قطعته فى صوت يحشرجه كبت شديد:

- لقد لفت نظرى لانك كنت أصغر من فى المرقص سنا فرثيت لك..

- خبرينى.. لم تحتقرين، أنت وحدك من دون النساء، أصحاب الملايين؟

- ربما لأنى فقدت ثروتى..

- هل كان لديك ثروة..

- كان يمكن أن تكون لدى ثروة.. ولا تضحك عندما أقول لك انى أميرة.. أميرة من بيت مالك عريق.

- أميرة!!!

قالها مشدوها، وبدأ يعتدل فى جلسته ليستدرجها إلى قصة طويلة يريد أن يسمعها، فهو يحب قصص الأميرات، وطول عمره رغم فقره ورغم ثورته على التقاليد يحلم أن تقع بين يديه أميرة ليرضى بها خيالات صبيانية كانت تطوف برأسه منذ كان صغيرا يقرأ قصة الشاطر حسن وبنت السلطان.

وهذه التى تجلس بجانبه أميرة تحمل لقبا كبيرا عريضا، وبين يديها تاريخ دولة بل تاريخ العالم بأسره.. ولكنها للأسف أميرة بلا امارة وبلا مملكة.. أميرة روسية، فر أبوها خلال الثورة الحمراء وعاش فى باريس يبيع نوعا من الشراب الحلو على عربة يد يسحبها فى شارع سان ميشيل بالحى اللاتينى.. وابنته صاحبة السمو ماريا بنشفسكى تربت ونشأت فى الفقر ولا تملك من ذكريات الامارة إلا حلية ماسية تعلقها فى عنقها وتخفيها بين نهديها تحت ثيابها..

وقد مات أبوها، وتزوجت من ابن عمها الأمير «بيتر» - وبقية اسمه

http://www.maktbtna2211.com

يتكون من اكثر من خمسة عشر حرفا ـ وصاحب السمو زوجها يشتغل سائق تاكسى.. وابن عمها الثانى يشتغل «جرسونا» فى مرقص الزنوج الخمسة، وهو الذى دعاها إلى المرقص عندما جاءت وزوجها وأولادها الثلاثة إلى شامونيكس لقضاء اجازة العام..

والقصة لها تفصيل، ولها حوادث، وفيها دموع وجوع وتشرد، وقد قال لها بعد أن أتمت قصتها ودموعها بين عينيها:

ـ يخيل إلى ان ما عانيته من فقر وتشرد قد جعل صاحبة السمو تعتنق الشيوعية وتحقد على الرأسمالية..

قالت:

ـ ان الفقراء يعتنقون الشيوعية ليصبحوا أغنياء، أما نحن فنتمسك بألقابنا الوهمية لنعيش كرماء!!

ـ ولكن لماذا احتقرتنى وأنا أبعثر نقودى على موائد الزنوج الخمسة؟

ـ لأن كل ما بقى لى هو أن أحتقر الأغنياء لأنهم جميعا من الرعاع اللصوص نهازى الفرص، ولا يجرى فى دم واحد منهم قطرة من الشرف.. انهم يشترون الدنيا بذهبهم أما نحن فكنا نشتريها بالمجد والسيف والدم. انهم يدفعون من أموالهم لأنهم يعلمون أنهم لم يدفعوا.. فستنقلب عليهم الدنيا، أما نحن فكان يكفى أن نبتسم فتبتسم الدنيا، لأن الدنيا كانت تعلم انها مدينة بوجودها إلينا!!

قالتها وأنفها مرفوع إلى السماء ثم ساد الصمت بينهما..

وبدأ الشيطان يهمس فى أذنيه من جديد: «إن بين يديك أميرة فلم لا تتذوق الأميرات»؟!

وبدأت يده تتسلل نحو شعرها الفاحم.. وكانت ساهمة تنظر إلى الفضاء من خلال زجاج السيارة.. ثم بدأ يقترب منها ويمر بيده فوق عنقها العاجى الشامخ.. وكانت صامتة وعلى شفتيها همسة محتبسة.. ثم جذب رأسها الجميل إلى الخلف وأطل عليها بشفتيه

http://www.maktbtna2211.com

ليمصها بقبلته، قبلة النذل الذى يرضى نزواته.. ولكنها فجأة ازاحته من فوق صدرها وقالت وهى تمر بيديها على جبينها كمن أفاقت من حلم مزعج أو كمن تطرد الشيطان من رأسها..

قالت:

- دعنى إلى الغد..

قال:

- إننا فى الشرق نقول إن الغد لا يأتى أبدا!!

قالت:

- ولكننا فى روسيا نثق بأن الغد آت لا ريب فيه!!

وأوصلها إلى فندقها والشيطان من ورائها يبكى خيبة الأمل.. وافترقا على موعد فى الصباح.

□ □ □

وجاءت صاحبة السمو ولكنها.. جاءت ومعها زوجها وأولادها الثلاثة!!

وعندما قدمتهم إليه، للعائلة الامبراطورية فى بساطة وهى تشير إليه كأنه خادمها:

- هذا المسيو هو الذى أوصلنى إلى الفندق ليلة أمس.

لم تقل الذى «تفضل بتوصيلى» ولولا بقية من أدب لقالت: «الذى نال شرف توصيل أحد أفراد عائلة رومانوف الروسية!!»

وقضى يومه فى ركاب العائلة الملكية الروسية.. يدفع الحساب ويردونه له قصصا عن عالم ضاع.. قصصا يقصونها عليه فى كبرياء يغيظ، وأنفة متعالية، وكأنه أحد خدام البلاط الامبراطورى!!

http://www.maktbtna2211.com

فتاة من لندن

http://www.maktbtna2211.com

ووصل إلى القاهرة.. فوجد فى انتظاره رسالة من لندن.. رسالة تقول فيها صاحبتها: «أرجوك أن تبحث لى تحت أقدام أبى الهول عن طريق الخلاص. واسأل شيوخ المساجد عن حكمة تهدينى إلى النعيم.. فقد كدت أجن، بل لقد جننت»!

وهذه هى قصة صاحبة الرسالة..

عندما انتهت الحرب سرحت من فرقة مجندات سلاح الطيران "Waafs". سرحت رغم أنفها فقد كانت سعيدة بين زميلاتها وأنستها حياة الثكنات ذكرى رجل كانت على وشك الزواج به، وفقدته بعد أن أعدت ثوب الزفاف، اذ اكتشفت انه وعد ثلاثا من صديقاتها بالزواج وان الثلاث قد أعددن ثياب الزفاف!!

وقد اشتهرت خلال الحرب بمهارتها فى قيادة السيارات، وأرسل لها ملك انجلترا خطاب شكر على شجاعتها والخدمات التى أدتها لوطنها.. ولكنها عندما تريك هذا الخطاب تضحك ضحكات عصبية وتقول: انى أنا التى يجب أن تشكر الملك، فإنى لا أستطيع أن أعيش دون قيادة سيارة، وقد أعطانى جلالته سيارة لأقودها مدى خمس سنوات!!

كانت تقود سيارتها - أو على الأصح سيارة الجيش - فى سرعة مجنونة وكانت تفقد الاحساس بنفسها عندما تجلس إلى عجلة القيادة وتسلم رأسها إلى الريح الباردة لتطفىء النار التى تندلع بين

http://www.maktbtna2211.com

أفكارها السود، وكانت ضجة الموتور تطغى على ضجة قلبها التى تطن فى اذنها كلما انفردت بنفسها أو أسلمت نفسها لذكرياتها.. وهى تعترف انها لم تكن شجاعة ولا جريئة عندما كانت تقود سيارتها فى ظلام لندن خلال ليالى الغارات، بل كانت تحاول الانتحار، فهى تكره الشعور بالحياة وتكره أن يكون لها قلب يحس، وذاكرة تستعيد بها الماضى، ومستقبل تعيش له.. وهى تريد أن تموت.. وقد شكرها الملك والامبراطور لأنها فشلت فى الانتحار!!

وكانت تكره أن يمنحوها اجازة خلال الحرب، ولكنهم عندما كانوا يرغمونها على الراحة، كانت تفنى نفسها فيما هو شر من الحرب، كانت تترك الثكنة وتلجأ إلى لندن، وهناك تذيب روحها فى أنفاس رجل أو فى كأس أو على مائدة قمار.. وقد حصلت خلال مغامراتها هذه على أكثر من وعد بالزواج.. فهذا رجل فرنسى لا يزال إلى اليوم يرسل لها فى كل يوم خطابا يناديها فيه «بيا حلمى الجميل».. وتقرأ الخطاب ثم تمزقه وهى تقول: «يا للفرنسيين من أدباء!!» وهذا طيار انجليزى برتبة كابتن نقل أخيرا إلى كندا يطلب يدها فى برقية.. واخر استرالى.. ورابع هندى.. وخامس.. وكلهم يريدها، فهى جميلة، فى لون بشرتها مرح الربيع، وفى ضحكاتها رنين أجراس الجنة، وفى عينيها الزرقاوين صخب أمواج المحيط، وفى جفونها طمأنينة شاطىء النجاة!!..

وهى رغم نزواتها لا تتبذل ولا تنسى أصلها الطيب ولا مكانة عائلتها التى تتفرع فى نيوزلاند وكندا والولايات المتحدة.. وهى دائما محترمة، فالكأس فى يدها له روعة الصليب فى يد القسيس، وعندما تهب جسدها لرجل تهبه كملكة تتعطف وتتكرم وتأمر فتطاع!

وتبدأ القصة بعد ما خلعت ثيابها العسكرية وعادت إلى ثيابها المدنية، فقد رفضت يومها أن تعود إلى بلدتها فى مقاطعة اسكس لتعيش مع أمها واخواتها.. وأقامت فى لندن تبحث عن عمل..

http://www.maktbtna2211.com

ومن السهل أن تجد لك عملا فى لندن ولكن من المحال أن تجد لك مسكنا، فأزمة المساكن هناك أشد وأقسى من أزمة الأخلاق فى مصر!!

وقد أقامت فترة تنتقل بين الفنادق ولكن مرتبها كان أضعف من أن يتحمل حياة فندق فى لندن.. إلى أن قرأت يوما اعلانا فى الصحف عن رجل يريد سكرتيرة ويقدم لها مع مرتبها مسكنا.. فلبت نداء الرجل!!

وكانت الصدمة الأولى عندما رأته لأول مرة..

انه رجل مريض مشلول لا يقوم ولا يقعد إلا مستندا على ذراع، ولا يأكل إلا من يد ترفع الغذاء إلى فمه..

ولكنها نسيت هذه الصورة البشعة للرجل عندما بدأ يحدثها، فهو ذكى، خارق الذكاء.. ومرح يبعث مرحه فى جسده المشلول الهامد الروح والحياة، ثم هناك عيناه.. عيناه اللتان تركز فيهما كل ما فقده من قوة.. عيناه التى حاولت عندما التقت بهما أن تضحك فلم تستطع، وحاولت أن تبكى فلم تستطع، وحاولت أن تفر فتسمرت أمامه!

وهو متزوج وامرأته عجوز غبية وقحة، كل ما فيها من خير انها تعتنى به فى مرضه وتناوله الدواء فى موعده وتقوم على خدمته كممرضة أو كخادمة، لا كزوجة، فهى لا تستطيع أن تفهمه ولا تستطيع أن تعينه فى مقاومته لمرضه ولا تستطيع أن تبادله أفكاره أو تقدر علمه الواسع وعبقريته الفذة، التى شهدت له بها بلده، كما كانت مسز روزفلت تعين زوجها حتى وصلت به إلى قمة العالم، بل على العكس فهى دائما تحاول أن تفقده روح مقاومته.. - هذه المقاومة التى لولاها لما عاش - وتحاول دائما أن تجرح احساسه وأن تعيره بمرضه، وقد دخلت عليه يوما وهى تصيح «هل تعلم ماذا حدث اليوم عند خروجك، من مكتبك؟ لقد ظنك طفلان انك شحاذ،

http://www.maktbtna2211.com

وحاولا أن يحسنا إليك بشلن لولا انى منعتهما» وهى قسوة منها تحملها الرجل وتقبلها بابتسامة ساخرة ورد قائلا: «انك فوت على شلنا»!!

هذا هو الرجل وزوجته، وقد قبلت الفتاة أن تعيش بينهما كسكرتيرة، فكانت تجلس إليه طول اليوم يملى عليها كتبه وأبحاثه فإذا ما انتهى بدأت تقرأ له وتقرأ معه.

ولم يكن هذا كل شىء فقد كانت تصحبه فى سيارته إلى الريف فى يوم السبت من كل اسبوع، ويقضيان هناك اجازة «الويك اند» وكان فى هذه الفترات يحدثها.. وكان حديثه ناعما هادئا مقنعا.. يحدثها عن نفسه وعن العالم فى أمسه ويومه وغده، حديث رجل درس وبحث ودقق وحقق، ولم تحاول أبدا أن تناقشه حديثه، أو ترد عليه كلمته، بل كانت تنصت إليه وهى فى شبه حلم، ويصل صوته العميق إلى أذنيها كأنه صوت جبريل يأتيها من السماء ليهديها إلى الصراط المستقيم.

ووجدت نفسها تنتقل من العالم المهووس الذى نسيت فيه نفسها إلى عالم تحس فيه بنفسها ولا تحس به، وتعلمت فى عالمها الجديد أن تقود السيارة فى بطء هادىء فلم تعد فى حاجة إلى الهواء البارد لتطفىء سخونة رأسها، ولا إلى ضجيج الموتور ليطغى على ضجيج قلبها.

وكل ما أصبحت فى حاجة إليه هو صوته وحديثه.. حديثه الذى تقتنع به دون أن تفهمه، وصوته الذى يريح أعصابها دون أن تميزه..

وبدأت شخصيتها تضمحل وتفنى بجانب شخصية سيدها.. بدأت تحس انها تلميذة جاهلة بجانب أستاذها.. عبدة ذليلة بجانب أميرها.

واعترفت بينها وبين نفسها انها أصبحت بأعصابها وقلبها

http://www.maktbtna2211.com

وأفكارها مشدودة إلى هاتين العينين النفاذتين اللتين تعذبانها بقدر ما تسعدانها، وتبعداناها بقدر ما تقربانها..

ولكن إلى أين المصير؟

ماذا بعد!

انها تعلم انها فقدت شخصيتها وانها فقدت ارادتها، ليس فقط أمام الرجل بل أمام كل الناس.. فهى اذا ما بدأت تروى قصة توقفت دون أن تتممها، لسبب لا تدريه.. واذا قالت «نعم» عادت فقالت «لا» ثم تتردد بين «لا» و«نعم».. واذا حكمت على انسان حكما عادت فنقضته ثم نقضت مانقضته.. واذا ضحكت بكت واذا بكت ضحكت.. وأصبحت لا تستريح إلا اذا ركعت تحت أقدام الجسد المشلول..

ولكن هل ستعيش حياتها هكذا وتخسر شبابها دون مقاومة أم هل تتزوجه!!؟!!؟

وهل يحبها!؟!

نعم يحبها.. ويحبها عدد الرمل والحصى والتراب.. وهى ترى حبه فى عينيه، وترى غيرته فيهما عندما تتحادث مع رجل آخر وخاصة اذا كان شابا صحيحا معافى، وترى هيامه فى هذا العمل الطويل الذى ينهكها به دون أن يكون فى حاجة إليه.. فقط ليجلسها بجانبه ويبعدها عن أصدقائها..

وهى تذكر يوم مالت عليه لتعدل جسده الجامد فى جلسته فالتقت عيناها بعينيه ولامست بشرتها دون قصد بشرته.. لقد رأته ساعتها يستجدى لأول مرة، وكان يستجدى قبلة، وكادت رغم ارادتها تهبها له لولا انها قاومت حتى منعت شفتيها عن شفتيه ولم يكن بينهما سوى قيد شعرة.. وقد أنهكتها يومها مقاومتها حتى اضطرت أن تختفى عن عينيه طول اليوم..

انه رجل.. رجل كامل رغم مرضه.. كامل الحس والأعصاب ولكن

http://www.maktbtna2211.com

هل هى تحبه حتى تتزوجه اذا فرض وطلبها للزواج، هل تحب رأسا بلا جسد وعينين معلقتين فى الهواء؟

لا تدرى.. لا تدرى أين هى منه ولا أين هو منها، وهى تبكى كلما طرحت على نفسها هذا السؤال، تبكى ثم تضحك لأنها لا تدرى أتبكى أم تضحك.. انها ضحية لعنة حلت عليها، وضحية سحر أسود يسرى فى دمائها، وسم أزرق سمم روحها..

انها تائهة لا تدرى أين هى ولا أين المصير، تائهة وسط زحام عواطفها، شاردة فى عالم لا ترى فيه إلا عينين، شعاعهما سياط تلهبها، وبريقهما نار تحرقها.

□ □ □

إلى أن قابلته.. غريبا يجوب لندن وقد تعب منها، وكان يحاول نسيان تعبه، وكانت هى تحاول نسيان عواطفها المشردة فجمعتهما محاولة النسيان فى ذكرى لا تنسى..

وكان أول ما راعه منها ترددها.. ترددها حتى فى الحكم عليه والثقة به..

كانت تقول له «هل أنت ملاك فى ثياب شيطان أم شيطان فى ثياب ملاك؟»

وكان أحيانا ينظر فى عينيها طويلا فتصيح فيه «لماذا تنظر إلى هكذا؟ أتحبنى أم تسخر منى؟»

ولم تكن تنتظر أن يجيبها بل كانت تجيب نفسها وهى تهز كتفيها وتلقى على الأرض ابتسامة مائعة قائلة «لا أدرى!!» ثم تنتقل إلى موضوع آخر..

وكانت تقول «لا أدرى» كلما وجهت لها سؤالا، وكلما سألتها رأيها، وكلما بدأت تقص عليك قصة، وكلما أردت أن تعرض ماضيها أو حاضرها أو مستقبلها.

http://www.maktbtna2211.com

وقد قصت عليه قصتها بعد الكأس العاشر.. وكانت تقصها والدمع فى عينيها، وظلت ابتسامة باهتة فوق شفتيها.. ابتسامة المحكوم عليه بالاعدام ظلما، فيعتلى خشبة المشنقة ساخرا من العالم صافحا عن الظالم..

وكانت تتوقف عن حديثها لتتناول كأسها ثم ترسل ضحكة مجنونة تعود بعدها إلى صمت طويل حزين.. ثم تبدأ حديثها من جديد..

ولم يحاول ليلتها أن يناقشها عواطفها أو يقول لها رأيه فى طريق خلاصها. فقد كانت رأسها غارقة فى أبخرة الخمر وأعصابها قد حطمت على حافة الكأس، ولكن حدث فى تلك الليلة أن صحبها فى سيارة أجرة إلى منزلها الذى تقيم فيه مع الرجل المشلول وزوجته، وكانت خلال الطريق تميل على صدره أحيانا ثم تبتعد عنه، وترفع إليه شفتيها ثم تنفر منه، وتنظر إليه طويلا ثم تهز رأسها فى عصبية وجنون.. كانت تحاول أن تقنع نفسها بشىء لا تستطيع الاقتناع به..

وعندما وقفت السيارة امام المنزل اخذت تتلفت حولها كأنها تبحث عن الخلاص، ثم ارتمت بين احضانه ولفت ذراعيها حول عنقه، وأخذت تعبث بأصابعها فى شعر رأسه، ثم قالت فى صوت متهدج مبهور:

- قبلنى.. قبلنى أرجوك.. انى جميلة.. انى أعلم انى جميلة وانى أعجبك.. انك تحبنى قل لى انك تحبنى.. وأنا أحبك وأعبدك.. أرجوك قبلنى.. اعصرنى.. انكم تجيدون الحب فى مصر.. أرنى خبرتك أيها المصرى!!

ولم يقبلها، ولم يقل لها انه يحبها إنما ربت على ظهرها فى حنان، فقد كان يعلم انها لا تريد حبه، ولا تريد قبلاته، إنما كانت تبحث فى أحضانه عن خلاصها من الرجل الآخر.. واكتفى ان يقول لها وهو

http://www.maktbtna2211.com

يمسح بيده على جبينها:

- اهدئى.. وسأراك غدا..

ولكنها لم تهدأ بل أخذت تبكى كطفلة ضالة، وصاحت:

- لا، انك لن تفارقنى.. خذنى معك إلى بيتك، إلى مصر.. إلى الجنة.. إلى جهنم.. ولكن لا تتركنى.. أرجوك.. أنك رجل طيب.. لا تتركنى!!

وأمر السائق أن يعود بهما إلى فندقه ولكن السيارة لم تكد تتحرك حتى أطلت برأسها من النافذة ونظرت إلى بيتها، ثم صرخت صرخة مكتومة وصاحت فى السائق «قف»! وجمعت حوائجها المبعثرة داخل السيارة وجففت دموعها ثم نزلت وهى تقول «انظر.. انه ينتظرنى»!!

ونظر إلى حيث أشارت..

كان الطريق مظلما وكانت المنازل التى تحيط به قاتمة حزينة.. ولم يكن هناك سوى نافذة واحدة ينبعث منها الضوء رأى خلالها ظل رجل يجلس على مقعد متحرك. ورأى - رغم بعد المسافة - عينيه.. وكانتا تقذفان جمرا على السيارة ومن فيها!!

وعاد وحيدا إلى الفندق..

ورآها فى مساء اليوم التالى، وكانت جميلة هادئة فى نظر من لا يعرفها، ثائرة مترددة فى نظر من يعرفها ويعرف قصتها.. وكانت تحاول أن تخفى ثورتها وترددها بابتسامة صاخبة، ولكنها كانت ابتسامة تفضح عدم اتزانها..

وحاولت ألا تعود إلى حديث الأمس، ولكنها لم تستطع وبدأت تقص له ما حدث منذ غادرته فى السيارة:

لقد سألها عن الشاب الذى كان يصحبها وعندما علم باسمه لم يطعن فيه ولا فى صفاته بل على العكس قال عنه أنه شاب مهذب ناجح ولكنه فقط متزوج وينتظر مولودا!!

http://www.maktbtna2211.com

وقد فهمت ما كان يرمى إليه الرجل، فهمت انه لا يريدها أن تقابل هذا الشاب لا لأنه يغار منه، بل لأنه - أى هذا الشاب - متزوج وينتظر مولودا!!!

وقد عذبها ليلتها، على طريقته الخاصة، فقد طلب إليها أن تجلس إلى الاتها الكاتبة ليملى عليها بحثا مستعجلا، وكان يعلم انها متعبة وانها مخمورة، ولكنه لم يرحمها، بل وضعها أمامه ونظرات عينيه تفتت أعصابها، ورنين صوته العميق وهو يملى كلماته يهوى على رأسها فيحطمه.. حتى ارتمت فوق آلتها وراحت فى نوم عميق، لا تدرى أكان نوما أم كان اغماء..

ولم يحاول أن يوقظها لتذهب إلى فراشها بل ظل حتى الصباح جالسا على مقعده، وهى أمامه منطرحة فوق المائدة التى تحمل آلتها الكاتبة..

وهى الآن تسأله - تسأل صديقها المصرى - ماذا تفعل؟ وكيف توقظ نفسها من هذا الحلم المزعج الذى تعيش فيه؟

فاجابها بأن الرجل ليست فيه القوة الغامضة التى تتصورها، وإنما هى مسألة طيبة القلب اشفقت عليه عندما رأته لأول مرة وتمادت فى شفقتها حتى ضعفت له، تماما كما فعل اليهود، فقد أخضعوا العالم لهم باثارة الشفقة عليهم، وكما تفعل كل أقلية ضعيفة فى أى بلد من بلاد العالم، تشكو من اضطهاد الأغلبية لها، وتستمر فى شكواها حتى ترق لها القلوب، ويجتمع لها العالم مدافعا عنها وينتهى الأمر بأن تضطهد الأقلية الأغلبية وتبدأ الأغلبية فى الشكوى!

إن هذا الرجل هو الأقلية التى تضطهد الأغلبية.. هو الضعف الذى انتصر على القوة.. هو القبح الذى سيطر على الجمال، ولو لم تضطهده زوجته وتشعره فى كل لحظة بضعفه وتعيره بمرضه لاضطهدها هو، وصب عليها حقده على العالم الذى حرمه من

http://www.maktbtna2211.com

المتعة، بل حقده على الله الذى شل جسده!

ونظر إليها محاولا أن يهبها القوة وأن ينصرها على ضعفها، ويقنعها بحديثه، وقال وهو يضغط على كلماته:

- قولى له «لا» مرة واحدة، حاولى أن تشعريه بقوتك أمام ضعفه.. وأن تجرحى احساسه وتريليه عن عرش الطغاة.. قولى له انه مشلول وانه مريض وأن مرضه قد خلق فيه الحقد والكراهية وحب الطغيان، وانه لذلك يريد أن يطغى عليك ويريد أن يضطهدك لا لشىء إلا لانك كاملة الجسم وهو ناقصه، وانك جميلة وهو مشوه.. قولى له ذلك مرة واحدة بعدها ستضمحل شخصيته أمامك وستطهرين دمك وأفكارك من سمه الأسود وسحره الأزرق، ستشعرين بعدها انك سيدته وسيلعق حذاءك كالكلب يطلب رحمتك ومعونتك وشفقتك.. حاولى.. حاولى..

وبعد أيام جاءته ممتقعة الوجه مضطربة، فى عينيها نظرات تائهة، لا تستقر، وعلى شفتيها رعشة كرعشة شفتى الظمآن، وقالت فى وجوم واستسلام:

- لقد قلت له «لا».. وقلت له انه مشلول وانى أقوى منه.. وصحت فى وجهه انه يريد أن يضطهدنى ويعذبنى ليشبع فى نفسه شهوة الانتقام من الحياة ومن الجمال..

وماذا حدث؟

لقد سكت ولم يجب.. وسكت سكوتا مخيفا جبارا طاغيا..

- ثم ماذا حدث؟

- ركعت تحت قدميه وقبلت كلتا يديه وطلبت منه الصفح..

وقد صفح.. وشكرا لله!

http://www.maktbtna2211.com

فى حانة الزنوج الخمسة

http://www.maktbtna2211.com

وهذه قصة التقطتها من احدى الحانات خلال رحلتى إلى فرنسا.. وهى قصة قد تكون واقعية فى كل حرف منها، وقد تكون خيالية متناهية فى الخيال..

□ □ □

إن كل من يلج حانة الزنوج الخمسة إما أن يكون «مليونيرا» وإما أن يكون محتالا.. وكل امرأة تغشاها إما أن تكون وريثة ملايين، أو صاحبة لقب.. أو بائعة جسد.. وكل هؤلاء النساء والرجال يشربون «البنش» أو «الابسنت» فيترنحون بعد الكأس الأولى، ويصيبهم الجنون بعد الكأس الثانية، ويذيبون الحياة فى الكأس الثالثة.

وكنا - أنا وهو - العاقلين الوحيدين بين رواد الحانة فى تلك الليلة.. وربما دهش كل منا وهو يرى الآخر عاقلا فى هذا العالم المجنون، فرفع كأسه وحيانى من بعيد، فاقتربت منه وقلت بالانجليزية:

- إن هذا المكان كأنه جهنم!

فأجاب بانجليزية أمريكية:

- ان الناس تمل الجنة أحيانا فلا تجد إلا الجحيم تحرق فيه

http://www.maktbtna2211.com

الملل.. وإلا فكيف يعقل أن نترك الجمال الذى سخا به الله على هذه القرية ونجتمع فى هذا الصندوق المظلم لنختنق فيه.

قلت:

- انى سعيد ان وجدت شخصا يتكلم الانجليزية، فقد تعب لسانى من اللغة الفرنسية، وهى لغة لا أجيدها.

وقال:

- أنت أسعد منى. فإنى لا أعرف من الفرنسية إلا عشر كلمات.. ولكن يخيل إلى أحيانا ان الانسان يستطيع أن يستغنى عن جميع اللغات!

وصمت قليلا ثم قال:

- هل تريد أن تسمع قصة:

وبدأ يقص قصته؟

كان يقضى صيف عام ١٩٣٦ فى بلدة «أنسين» بفرنسا.. وكان لا يعرف من اللغة الفرنسية حتى الكلمات العشر التى يعرفها الآن.. وإنما تعود أن يقوم برحلاته إلى أوروبا منذ أصبح صاحب ملايين، معتمدا على شركات السياحة، التى تضع تحت أمره دائما سكرتيرا يتخاطب عنه مع الناس الذين لا يتكلمون الانجليزية.

وذات مساء قلق فى نومه، فخرج ليسير على شاطىء البحيرة.

كانت أشعة القمر تستحم فى ماء البحيرة كأنها آلهة من نور تهتز طربا وهى تلاعب ظلال الأشجار، وقد وقفت جبال الألب ترقب الآلهة اللاهية فى غضب مفتعل وقسوة حنون.

وجلس على مرتفع يطل على البحيرة يشهد كل هذا الجمال، وقد استند إلى شجرة عملاقة تخفيه عن أعين من يمر أمامه.

ومرت أمامه فتاة وفتى، ثم جلسا بعيدين عنه دون أن يلمحاه فابتسم، فقد كان يعرف الفتاة، انها خادمة الفندق الذى يقيم فيه أما الفتى فهيأته تدل على انه من الأوباش..

http://www.maktbtna2211.com

وبدأ يسمع همساتهما، وكانت آداب اللياقة تقتضيه أن يبتعد وألا يسترق السمع ولكنه كان يجهل الفرنسية - التى يتحادثان بها - جهلا تاما، فلن يضيرهما أن يسمع حديثهما مادام لن يفهمه ولن يضيرهما أن يرقبهما مادام لن يلمحاه، وأحس ان جمال الطبيعة الذى يحيط به لن يكمل إلا اذا ارتفعت فى جنباته أنغام الحب التى يتبادلها هذا الفتى وهذه الفتاة.

وبدأ الفتى يتكلم.. كان يتكلم بصوت هامس كأنه يرتل صلاة حفظها عن ظهر قلب، وكانت الفتاة تستمع إليه ورأسها إلى الأرض وقد تدلت خصلة من شعرها على عينيها وهى تعبث بأصابعها فى الحشائش النابتة على الأرض، واستمر الفتى فى همسه، وهو يقترب برأسه من الفتاة أحيانا حتى لتكاد شفتاه تلمسان وجنتيها، ويبتعد عنها أحيانا ليحرك يديه فى الهواء، كأنه يشرح خطة يريد تأكيدها.

وفجأة رفعت الفتاة رأسها، وقالت وكأنها تصد عنها شبحا مخيفا: لا.. لا.. ثم بدأت تتكلم فى صوت خفيض وكأنها تحاول أن تقنعه بأن يعدل عن خطة يعرضها عليها..

وارتفع صوت الفتى فى كلمة واحدة كأنها صفعة أراد أن يصفع بها فتاته، ثم تمالك أعصابه وخفض من صوته وبدأ يهمس من جديد، والفتاة بين كل فترة وأخرى تهز رأسها وتقول فى صوت ضعيف تحاول به أن تستدر رحمته: لا.. لا..

وأخيرا انتفض الرجل واقفا وأمسك بذراع الفتاة وأخذ يضغط عليها حتى صرخت من الألم وهى تردد صائحة: لا.. لا.. ثم ترك ذراعها وأخذ يسير أمامها جيئة وذهابا فى خطوات عصبية ثائرة، وهى راكعة تحت أقدامه تبكى، وتضرع إليه فى صوت تقطعه دموعها.

ولم يرق قلب الفتى، بل انحنى عليها وأمسك كتفيها بيديه

http://www.maktbtna2211.com

القاسيتين وجعل يلقى فى وجهها كلاما كأنه حمم من نار وهى لاتزال بين كل كلمة من كلماته تهز رأسها وتقول: لا.. لا.. فصفعها صفعة ألقت بها على الأرض.. فانكفأت على وجهها تبكى فى صمت..

واقتلع الفتى بضع حشائش من الأرض وأخذ يقضمها بأسنانه وكأنه كلب جائع أحاله الجوع مجنونا.. ثم انحنى مرة ثانية وجذب الفتاة إلى صدره، وأخذ يقبلها وبين قبلاته يهمس.. ويشرح ويرجو.. ويغرى، إلى أن هزت الفتاة رأسها.. وفى هزتها هذه المرة علامة الموافقة..

وجذبها الفتى من شعرها، وأهوى على شفتيها فى قبلة لابد انها اقتلعت قلب الفتى لأنه عندما رفع شفتيه عنها، كانت تبتسم.. ابتسامة بلا قلب!!

وبدأ الفتى يهمس من جديد، وكان همسه فى هذه المرة سريعا محددا وكأنه يعنى كل كلمة منه بالتحديد، وعندما انتهى من همسه هزت الفتاة رأسها كأنها فهمت كل شىء، ثم قام الاثنان وانصرفا.

ورشف صديقى الأمريكى كأسه وطلب كأسا أخرى وقال:

- انك أحيانا تسمع قطعة موسيقية فتفهم ما يريد ملحنها أن يعبر عنه.. وقد فهمت هذا الهمس الذى دار أمامى رغم انى كنت أجهل معنى كل كلمة منه، إلا كلمة "NO" التى كانت الفتاة تكررها بين حين وآخر.. فهمت كل شىء من اختلاف طبقات الصوت بين ارتفاع وانخفاض.. كما تفهم أنت اذا ما كان شوبان يريد أن يعبر بموسيقاه عن هدير البحر، أو عن عاصفة، أو عن سوق القرية أو عن قصة حب..

أتدرى ماذا فهمت؟

.. فهمت أن هناك جريمة تعد وسترتكب فى تلك الليلة بالذات..

http://www.maktbtna2211.com

.. وفهمت ان الفتى يحض الفتاة على أن تشترك معه فى ارتكاب الجريمة التى وضع خطتها، وانها رفضت فى مبدأ الأمر، فتوسل إليها ثم قسا عليها، وربما هددها بالهجر.. وطبقة الخادمات فى فرنسا يقبلن كل شىء إلا هجر الحبيب، فاضطرت تحت تهديده أن تقبل مذلته فى الجريمة..

فهمت كل هذا بكل وضوح، وكأن المجرم كان يقص على مشروع الجريمة بالتفصيل.. وتملكتنى الحيرة، كيف أمنع وقوع مثل هذه الجريمة؟

وانتهت حيرتى بأن حملت نفسى مسئولية الجرم وإن لم أستطع أن أحول دون وقوعه، فقمت أجرى كالمجنون إلى داخل البلدة، وأمسكت بذراع أول رجل بوليس قابلنى، وأخذت أشرح له الأمر، وأطالبه بأن يسرع بابلاغ الخبر إلى رؤسائه ليمنعوا الجريمة قبل وقوعها.. ولكن رجل البوليس كان يستمع إلى وهو يبتسم.. فدهشت، ثم تذكرت انى كنت أخاطبه بالانجليزية، وهو لا يعرف طبعا إلا الفرنسية!!

وتركت عسكرى البوليس، وسرت فى طريقى نحو الفندق وقد اعترانى يأس قاتل.. كيف أحول دون وقوع الجريمة؟ ولو فرض وكان بين رجال بوليس المدينة من يفهم الانجليزية فكيف أثبت له ان هناك جريمة ستقع وليس لدى من دليل إلا ما فهمته من اختلاف طبقات النغم فى حديث الفتى والفتاة، وهو دليل لا تأخذ به دوائر البوليس حتى فى أمريكا!

ودخلت حجرتى فى الفندق وأنا اكاد أبكى من الغيظ.. ولم أنم ليلتها بل بت أتقلب على فراشى وأعض وسادتى، وأنا أصيح بينى وبين نفسى: هناك جريمة.. هناك جريمة!

وفى التاسعة من صباح اليوم دخل سكرتيرى وبيده صحف الصباح، فسألته، هل هناك جريمة؟ فأجاب مندهشا:

http://www.maktbtna2211.com

نعم.. لقد قتلت السيدة التى تقيم فى الغرفة رقم ١٣٧ وسرقت حليها وقبض على الخادمة واعترفت ان لها شريكا لم يقبض عليه بعد.. ولكن كيف عرفت أن هناك جريمة؟

ولم أجب على سؤال سكرتيرى، بل طلبت إليه أن يعد حقائبى لأعود إلى أمريكا فى اليوم نفسه..

وقد صممت يومها على الا أعود لفرنسا إلا بعد أن أتعلم اللغة الفرنسية وأجيدها، وقد عدت إليها هذا العام وكل ما أعرفه من لغتها هى عشر كلمات، ثلاث منها هى: «مرسى» و«بونجور» و«بونسوار».

http://www.maktbtna2211.com

صورة العذراء

http://www.maktbtna2211.com

سألته وهو يبدل ملابسه فى حمام النادى الأهلى، عن سر الحلية الصغيرة التى يعلقها فى صدره وقد رسمت عليها صورة العذراء مريم. فروى لى هذه القصة.. قصة قد يرى فيها القارىء العادى صورة وقحة لجسد مبتذل.. ولكنها أعمق من ذلك، انها قصة الجسد الذى شقيت معه الروح.. فاقرأوها وألعنوا الجسد، واطلبوا الرحمة للروح، واصفحوا عن القلم الذى تمادى فى صراحته..

■ ■ ■

كان قد مضى على وصوله إلى باريس ساعتان، وكان قد انتهى من وضع حقائبه فى احدى حجرات «فندق دى لوفر» وأسرع إلى الحى اللاتينى ليحجز لنفسه حجرة أخرى فى «فندق الغرباء» "Hotel des Etrangers" بشارع «راسين» المتفرع من بوليفار سان ميشيل، عصب الحى اللاتينى وشريانه.

وهكذا أراد أن يعيش فى باريس أراد أن تكون له شخصيتان:

شخصية عاقلة محترمة يقتضيها عمله ومركزه، وهى الشخصية التى كان يبدو بها فى فندق دى لوفر، و فى أروقة مؤتمر السلام الذى كان منعقدا يومها فى باريس.

وشخصية أخرى ماجنة طائشة مستهترة كان يتقمص فيها ويترك لها العنان بمجرد أن يطل على الحى اللاتينى ويضع قدمه فى

http://www.maktbtna2211.com

«فندق الغرباء».

وفندق الغرباء فندق عجيب ليس فيه حمام، وليس فيه ماء وليس فيه خدم.. ليس فيه أى شىء سوى زجاجات من النبيذ الرخيص، وقطع من الجبن العفن الذى يباع بالتسعيرة.

وهو فندق مثير غامض، خلف كل باب من بوابه رجل وامرأة، قد يكونان عاشقين، وقد يكونان جاسوسين خطرين، وقد يكونان من أصحاب الملايين..

وانتهى من الاتفاق مع صاحبة الفندق، ودفع أجر اسبوع مقدما - وهو شىء لا يحدث أبدا فى فندق الغرباء - ثم خرج واشترى خوخا من بائع يدور بفاكهته على عربة يد، ووقف أمام باب الفندق ينهش الخوخ، ويرمى البذرة والقشرة فى عرض الطريق.. وكل شىء فى الحى اللاتينى يرمى فى عرض الطريق حتى القلوب والأجساد..

ومرت من أمامه وهى تعدو.. فتاة كل ما استطاع أن يلمحه منها قواما خيل إليه انه قوام تمثال فر من حديقة اللكسمبرج.. وما كادت تفوته بخطوات حتى توقفت عن عدوها واستدارت له ثم أخذت تقترب منه فى خطوات بطيئة إلى ان وقفت قبالته.

انها ليست صغيرة السن كما ظنها بل هى فى الرابعة أو الخامسة والعشرين، ولكن فى عينيها «شقاوة» ابنة الرابعة عشرة، وفى شفتيها دعوة امرأة فى الخامسة والثلاثين، وشعرها الأسود الثائر فوق رأسها لا يهدأ ولا يستقر وكأن كل شعرة منه تبحث عن رجل!!

وكانت ترتدى ثوبا كالذى يرتديه بنات أوياش باريس.. قميصا أحمر، وحزاما أسود عريضا، و«جيب» قصيرا يكشف إلى ما فوق الركبتين عن ساقين يجبرانك على أن تطأطىء رأسك!

وصوبت إليه عينيها فى جرأة عجيبة وقالت فى صوت كأنه صوت امرأة متعبة استيقظت من النوم بعد ليلة صاخبة:

http://www.maktbtna2211.com

- انك غريب عن الحى؟
- لقد وصلت إلى هنا منذ ساعتين.
- وصلت من أين؟
- من لندن..

ولوت شفتيها امتعاضا وقالت:

- هل أنت انجليزى؟
- مصرى.
- الحمد لله، فإن الانجليز يتضايقون من لندن فيأتون إلى هنا، ولكنهم يحضرون معهم لندن نفسها فيضايقوننا!!

وسكتت قليلا وهى تجول بعينيها فى أنحاء وجهه وتقيس بهما طوله وعرضه، ثم قالت:

- انك مثل سيىء لأهل الشرق فقد تعودنا أن نراهم طوالا عراضا سمر الوجوه قساة العيون، أقوياء، حتى ليخيل إلينا اننا نستطيع أن نتأرجح بين أصابعهم.. أما انت..

وعادت تجول بعينيها فى أنحاء وجهه وتقيس بها طوله وعرضه!!

وقال:

- يا آنستى ان أهل الشرق أقوياء الروح، قساة فى حقهم، طوال عراض فى كل ما يمس كرامتهم، وثقى ان طفلا من الشرق يستطيع أن يقتلك عندما يعتقد أن هذا من حقه..

وضحكت.. ضحكت كثيرا، ثم قالت وضحكاتها تقطع كلماتها:

- انك ولد لذيذ!!

ومدت يدها إلى قرطاس الخوخ الذى كان يحمله بين يديه وأخرجت واحدة، وراحت تأكلها وهى تنظر إليه من بين أهدابها نظرات خيل إليه انها تنطلق من بين أسنانها..

وكان قد تضايق من وصفها له بأنه «ولد» وتضايق أكثر من انه

http://www.maktbtna2211.com

«ولد لذيذ». هذا الوصف الذى لم يسمعه من امراة قط.

فقال فى أدب مفتعل:

- يخيل إلى انى عطلتك عن شىء مهم؟

- أبدا..

ولكنى رأيتك تجرين.. ولابد انك كنت تجرين لشىء مهم؟

- أبدا.. لقد كنت أجرى لانى أردت أن أجرى!!

ووضعت ذراعها فى ذراعه وسحبته - مع دهشته - إلى داخل الفندق.

وما كادت صاحبة الفندق تراها حتى صاحت بملء قلبها «فالنتين» وأسرع إليها كل من كان يجلس فى البهو الضيق وهم يصيحون «فالنتين» كيف حال فالنتين!! أهلا بالملاك الشرير! من منا عشيق الليلة يا فالنتين؟!!!

إن اسمها فالنتين.. والجميع يقبلونها ويعانقونها ويلقون بضحكاتهم وابتساماتهم بين يديها.

ونظرت إليهم فالنتين كملكة مستبدة تطل من شرفة قصرها على شعب مستعبد، ثم التفتت إلى صاحبة الفندق وقالت فى لهجة الآمر الناهى:

- ماذا فعلت لهذا المصرى اللذيذ؟

- أعطيته خير غرفة لدى.. واعتنيت به لدرجة انى غيرت له بياضات السرير.. تصورى!!!

- سأرى بنفسى..

وسحبته من يده وصعدت به درجات السلم، وصاحبة الفندق تصيح وراءها «الغرفة رقم ١١»..

وأغلقت فالنتين الباب وراءها.. ودار بعينيه فى أنحاء الغرفة فلم ير شيئا مما رآه من قبل.. لم ير إلا فالنتين.. رآها بجانب النافذة

http://www.maktbtna2211.com

وفوق المائدة وتحت السرير، وأمام المرآة.. لقد طغت شخصيتها على الغرفة كلها ثم بدأت تتسلل إلى أعصابه وتحتل رأسه وتشعل النار فى جسده.. ولكنها وقفت عند باب قلبه ولم تستطع الدخول!

إن له قلبا متهافتا، سريع الوقوع، كثير العثرات، ولكنه فى هذه المرة قاوم فى عناد، وابى أن يخضع لسحر فالنتين.. فقد كان فيها شىء يخيف، وكان فى أنوثتها الناعمة قوة يرهبها، وفى عينيها السانجتين أنانية لا تقف عند حد.. وان كان قلبه قد قاوم فإن جسده تهاوى.. تحت أقدام فالنتين!!

وقضينا فى الغرفة رقم «١١» خمسة أيام كانت عيدا من أعياد الشيطان.. وكانت تصحبه فى المساء لتريه أسرار الحى اللاتينى ولم تكن تريه منها إلا أحطها والبؤر المدنسة فيها.. فأخذته إلى حانة «المونتانى» حيث لا يوجد رجال ونساء، بل رجال ورجال ونساء ونساء! وصحبته إلى مقاهى الأوباش حيث يعتبر طعن المرأة بخنجر نوعا من المداعبة البريئة، وقضت معه ليلة فى حانة الغجر «جيبسى» حيث تنساب الأنغام فى كؤوس الشمبانيا فتترنح الروح قبل أن يترنح الجسد!

وكانت اذا سارت فى الطريق ودخلت إلى حان هلل من حولها الجميع، وهللت لهم.

إنها ملكة غير متوجة من ملكات الحى اللاتينى.. وصدقونى بعد كل هذا، انها طالبة فى السوربون، طالبة تدرس الآداب، وكانت كثيرا ما تروى له أشعار لامارتين وادمون وستون وتناقشه نظريات جان جاك روسو وماركس وهكسلى، وتنتقد فى لذعات ساخرة كتابات أندرية مورو وقصص ماكس ديفيزيت.

وعندما كان يلومها على افراطها فى اللذة الجسدية، ويطالبها أن تسمو بنفسها لتتذوق لذة الروح، كانت تقول له وهى تتلمس بيدها جسدها الفاتن.

http://www.maktbtna2211.com

- يا صديقى اللذيذ.. ان روحى هنا.. داخل هذا الجسد.. هذا الاطار الجميل.. ولن تحس بجمال الروح اذا قدمتها لك بلا اطار!!

وأحس بالتعب بعد الأيام الخمسة، تعب من الجسد الشره والروح النهمة والليالى التى لا تهدأ إلا مع الفجر.. وقرر أن يهرب فعاد إلى فندق «دى لوفر» على ألا يعود إلى فندق الأجانب إلا بعد أن تنساه فالنتين وينساها..

وجاء أصدقاؤه بعد أيام يقولون له ان الحى اللاتينى كله يبحث عنه ليقدمه إلى فالنتين.. فإنها قد سلطت وراءه كل «جارسون» وكل بائع جرائد وكل صاحب فندق وأمرتهم اذا ما رآه أحد منهم أن يبلغها خبر العثور عليه!!

ولم يأبه، وعاش اسبوعا متفرغا لعمله، يزور المتاحف فى أوقات فراغه ويقضى لياليه بين المسارح والملاهى الراقية ودور الأوبرا..

ولكنه عاد يحن إلى الحى اللاتينى، وباريس بلا الحى اللاتينى كراقصة تعظ الناس!

وذهب إلى هناك وهو يدعو الله الا يرى فالنتين.. ولكنها كانت فوق رأسه بعد وصوله بدقائق، وقذفت فى وجهه بكل ما يعلمه وما لا يعلمه من كلمات السباب الفرنسية. ثم بدأت تبكى.. تبكى كنمرة أضناها الجوع.

وانتهى اللقاء بأن صحبته إلى غرفته فى فندق الأجانب.. وربما فكر ساعتها فى الهرب، ولكنه لم يستطع فقد كان يشعر أمامها بأنه ذبابة وقعت فى شراك عنكبوت..

وما كاد يفتح باب الغرفة رقم «١١» حتى وجد اثنين من أصدقائه المصريين راقدين فى سريره! فقد كان يبيح لأصدقائه عندما يفلسون أن يأووا إلى حجرته حتى يأتيهم العون المالى من مصر.

والتفت إلى فالنتين وحاول أن يعتذر وهو يرجوها أن تتركه ليقضى ليلته عند صديق، فلم يكن قد أخبرها ان له حجرة أخرى

http://www.maktbtna2211.com

فى فندق دى لوفر.

ولكنها أبت أن تتركه وعرضت عليه أن يقضيا الليلة فى بيتها، وصمتت!!

وبيتها حجرة واحدة فى عمارة متداعية تطل على ميدان أقيم فيه تمثال «لمارا» أحد أبطال الثورة الفرنسية..

ودخلا الغرفة، فإذا بفتاتين راقدتين فوق السرير.. احداهما أختها وكان يعرفها من قبل، أما الثانية ففتاة لها وجه أبيض، كوجه ملاك، وكانت نائمة فى هدوء كهدوء السماء، وخصلات شعرها الذهبى منتشرة فوق الوسادة كأنغام لحن كنائسى يروى قصة الخلود.. وكان اسمها «ليليت»!!

وما كادت فالنتين ترى الفتاتين فى فراشها حتى صرخت، صرخة المرأة عندما تنقلب إلى لبؤة.. وجذبت الغطاء عنهما فقامتا مذعورتين وشتائم فالنتين تصفع وجهيهما..

ونظر إلى ليليت، فإذا ببطنها منتفخة.. انها حامل.. واذا بها تسعل فيتناثر رذاذ من الدم حول فمها.. انها مريضة.. ومريضة بالسل..

وكانت فالنتين تصرخ فى وجهيهما: انها تريد فراشها، لها ولعشيقها.. ان هذا هو بيتها الذى تدفع أجره من كدها، ولن تسمح لأحد أن يقلبه ملجأ للمتشردات أو مستشفى حوامل!!؟

وردت أختها: اننا لم نجد مكانا آخر لهذه الليلة يا أختاه.. وظننا انك قد لا تمانعين فى أن.

وقالت فالنتين فى ثورتها: بل أمانع.. وأمانع هذه الليلة دون بقية الليالى.. انها ليلة حب.. هيا أخرجا وابحثا عن رجل يؤويكما!!

ولم يكن قد تعود أن يسمع مثل هذه الوقاحة.. ثم ان فى الحجرة ملاكا مريضا، ولن يسمح بأن يطرد من مأواه إلى برد الليل أمام ناظريه، فتدخل وحاول أن يقنع فالنتين بأن تبقى الفتاتين فى

http://www.maktbtna2211.com

فراشهما، ولكنها رفضت وهى تملأ الدنيا صراخا وسبابا.

وثارت رجولته فصاح: «اذن فلن أراك بعد اليوم» واندفع نحو الباب وخرج إلى الشارع، فإذا بها تلحق به وتطبق يديها على رباط عنقه ثم تركع تحت قدميه وهى تبكى فى ثورة مجنونة:

- لن أدعك تتركنى..انك لى، هذه الليلة على الأقل.. وإلا فسأقتل نفسى وأقتلك!

وخاف أن تجن، فربت على وجهها وهو يحاول أن يخلص عنقه من بين يديها وقال لها انه سيصحبها معه إلى فندق آخر، فندق دى لوفر، على شرط أن تدع الفتاتين ينامان فى فراشها.

ورضيت.. وأطلت ابتسامة الفوز من بين دموعها، ثم عادت وعاد معا إلى غرفتها ليطلبا إلى الفتاتين أن تظلا فيها.. وكانتا ترتديان ملابسهما الرثة استعدادا للخروج.. فصاحت بهما فالنتين:

- انى سأترك لكما الغرفة فى هذه الليلة فقط..

وهزت الفتاتان رأسيهما وقالتا:

- بل سنتركها نحن لك.

وهمتا بالخروج.. وتقدم هو إلى ليليت وقال يستعطفها:

- ان الليل بارد يا آنسة، وأنت أرق وأضعف من برد الليل فابقى هنا إلى أن تشرق الشمس.

وقالت ليليت فى صوت ضعيف:

- يا سيدى.. انى فتاة خاسرة.. خسرت كل شىء، إلا بقية ضئيلة من كرامتى أحب أن أحتفظ بها الليلة!

قال:

- بحق ابنك الذى يعيش فى أحشائك.. لا تخرجى من هنا!

قالت:

- ان ابنى لن يرى النور سواء بقيت أم خرجت!

http://www.maktbtna2211.com

قال:

- انك تتعبيننى فإنى لا أجيد الفرنسية، وأخشى ألا استطيع أن أفهمك..

قالت:

- تكلم بأى لغة، حتى ولو كانت العربية، أو لا تتكلم أبدا.. فإنى أستطيع الآن أن أفهم وأرى كل شىء..

قال:

- ألا تفهمين انك يجب أن تبقى، ألا ترين خطر الليل عليك؟؟

قال:

- افهم اننى يجب أن أخرج من هنا.. شكرا.. انك رجل طيب.. طيب جدا، خذ.

وأعطته علبة صغيرة صدئة رسم عليها صورة العذراء مريم، ثم خرجت ومن ورائها الفتاة الأخرى.. ودون أن يعى التفت إلى فالنتين وهوى بيده على وجهها فوقعت على الأرض وأخذ يركلها بقدميه، ثم خرج يعدو..

وظل يعدو حتى التقى بسيارة من سيارات الأجرة حملته إلى فندق دى لوفر، وصراخ فالنتين ينتزع من أذنيه تهافت صوت ليليت!!

□□□

وعاد فى الليلة التالية يبحث عن ليليت، فقالوا له بكل بساطة «ماتت»..

لقد قضت ليلتها على أحد أرصفة نهر السين، وهام بها هواء الليل عشقا، فانتزع روحها وصعد بها إلى السماء!

وسار فى أحياء الحى اللاتينى وبين أصابعه الحلية التى أهدتها له «القتيلة» وعليها صورة لعذراء..

http://www.maktbtna2211.com

انهم لا يزالون - فى الحى اللاتينى - يغنون ويرقصون، ولا تزال الفتيات يمرحن ويصرخن صرخات الجسد الذى لا يهدأ..
ان الحى اللاتينى لا يبكى الأموات ولكنه يغنى لهم!

http://www.maktbtna2211.com

وجوه لم أعرفها

فندق الغرباء

فى مجتمعات انجلترا وفرنسا قابلت وجوها غريبة.. رجالا فى ضحكاتهم دموع، ونساء وراء دموعهن ضحكات.. وجوها تظهر حينما تعتقد انها اختفت، وتختفى حينما تعتقد انها بجانبك، وكنت كلما اصطدمت بواحد من هذه الوجوه قفز إلى لسانى مائة سؤال وسؤال.. من هو؟ ماذا يعمل؟ كيف يكتسب؟ ما هى جنسيته!.. وكانت كل هذه الأسئلة تختفى بمجرد أن يتحرك لسانى، وأفيق، فأجد نفسى قد جاوبت على مائة سؤال.. كنت أندم لاجابتى على ٩٩ سؤالا منها..

http://www.maktbtna2211.com

فندق الغرباء

فى فندق «الغرباء» بالحى اللاتينى.. كان يسكن رجل وزوجته.

الرجل فى الثلاثين من عمره رشيق القوام تطل عيناه الزرقاوان من تحت جبين عريض على وجه جميل هادىء ممتلىء صحة وفتوة يعلوه شارب ضخم مشعث يضفى على صاحبه نوعا من الهيبة والوقار أو هو نوع من الغموض.

واعتاد الرجل أن يرتدى حلة سوداء غامقة وياقة منشاة عالية وقبعة من الجوخ ويمسك بيده عصا غليظة.. وكل هذه أشياء من النادر أن تراها فى الحى اللاتينى حتى ان سكان الحى اعتادوا كلما رأوا رجلا يدخل مقهى وعلى رأسه قبعة أن يصيحوا فى وجهه «البرنيطة.. البرنيطة» ويظلون يكررونها حتى يخلع الرجل قبعته!

ثم ان فندق «الغرباء» فندق فقير، لم يتعود أصحابه أن يستقبلوا زبائن من هذا الصنف الارستقراطى فكل نزلائه عادة من الطلبة والطالبات وأحسنهم حالا يكتفى فى الصيف بارتداء قميص وبنطلون وحذاء بلا جوارب!!

وأما زوجة الرجل فهى شابة قصيرة القامة ليس لها شىء من وجاهة زوجها، تبدو دائما مرتدية ثوبا رخيصا بسيطا وساقاها دائما عاريتان ينتشر فيهما شعر كثيف حتى انك لو أخفيت وجهها لظننت انهما ساقا رجل.

http://www.maktbtna2211.com

وهى ليست جميلة الوجه ولكن يروعك منها ذكاء حاد ينبعث من عينيها وابتسامة طيبة فوق شفتيها..

وكانت دائما تقرأ.. فى الفندق.. وفى الطريق.. وأثناء تناولها الطعام.

وقد أقمت فى هذا الفندق ثلاثة أيام ثم حجزت فيه غرفة كنت أتردد عليها أثناء اقامتى فى باريس.. ولفت نظرى شخصية هذا الرجل وزوجه فبحثت فى سجل النزلاء فعلمت ان اسمه «هـ. و» وانه نمساوى ولم أستطع أن أعلم عنه أكثر من ذلك سواء من أصحاب الفندق أو من الخدم أو من بقية النزلاء..

وقد اصطدمت بالرجل أكثر من مرة على درجات الفندق وفى قهوة «دى بونت» وفى حديقة اللكسمبرج ولم يحاول يوما أن يعيرنى التفاتة، ولكنه فاجأنى ذات مرة بأن هز رأسه محييا، وفى مرة ثانية مد لى يده مصافحا، وفى الثالثة قبل دعوتى لتناول «الابراتيف»..

وعلمت - أو استنتجت - فيما بعد، ان سر اهتمامه بى يرجع إلى انه علم من سجلات الفندق انى مصرى وانى صحفى..

وتحدثنا طويلا..

انه أستاذ فى جامعة فيينا وقد جاء باريس - كما قال لى - ليحضر الدراسات الصيفية فى جامعة السربون، وهو يقوم فى بلده النمسا بدعوة جديدة يسميها «نهضة الجيل الجديد» وينشر مبادئها بين طلبة المدارس والجامعات، وحاول أن يقنعنى بأن دعوته ليست حركة سياسية، إنما هى حركة اجتماعية أخلاقية ثقافية.

وقد أهدانى كتابا صغيرا باللغة الألمانية يضم مبادىء حركته وعندما ترجمته وجدت انها كلها مبادىء تدعو الشباب إلى الابتعاد عن السياسة وإلى التمسك بقواعد الدين والأخلاق وحصر جهودهم فى تلقى العلم لخدمة النمسا والنهوض بها.. وأقول الحق انى لم أهضم هذه المبادىء ولم اقتنع بها!

http://www.maktbtna2211.com

وقد قال لى انه يسعى ليجعل من حركته حركة عالمية تضم شباب العالم فى اتحاد دائم.. وسألنى عن الجامعة المصرية والتيارات السياسية فيها وموقف الحكومة ومنها الشخصيات ذات التأثير على طلبتها وهل يمكن أن تنتشر مبادئه بينهم!؟

وعندما تحدثنا عن المبادىء السياسية وعن الدول العظمى، خيل إلى انه شيوعى ولكن كان هناك دائما شىء ينقصه ليكون شيوعيا مخلصا. لا أدرى ما هو! وآخر مرة تحدثنا فيها طلب منى أن أسعى لدى المفوضية المصرية فى باريس لأحصل له على تأشيرة للدخول إلى مصر.. فوعدته.. ولم أف بوعدى..

وفجأة اختفى الرجل وزوجه من الفندق ومن الحى اللاتينى كله، وعندما سألت عنه صاحبة الفندق قالت لى انها لا تعلم أين ذهب، ولكنه لا يزال محتفظا بغرفته وقد دفع أجر اسبوع مقدما قبل أن يذهب.

وبعد اسبوع عاد الرجل وزوجته.. وقال لى انه كان فى لندن، ولكنه لم يشأ أن يقول لى لماذا أذهب إليها، واكتفى بأن حدثنى عن المسارح الانجليزية ودور المتاحف هناك!

وعدنا نلتقى فى فترات متقطعة متقاربة، وكان حديثه دائما خلابا وكنت دائما أقتنع بما يقول فإذا فارقته وجدت انه لم يقل شيئا، وفى ذات مرة فاجأنى بقوله انه زار مصر وأنه أقام بها خمس سنوات ولم يغادرها إلا فى مارس عام ١٩٤٠، وقال انه كان يعمل فى فرع احدى الشركات الألمانية، وسمى لى بعض الشخصيات المصرية بأسمائها كما أظهر معرفته ببعض أساتذة الجامعة وبعض زعماء الشباب فى ذلك الوقت!

ولم يستمر حديثنا عن مصر طويلا فقد حوله بسرعة إلى موضوع آخر حتى لا يعود إلى الحديث عن أصدقائه المصريين.. وربما اعتبر تصريحه لى بسبق زيارته لمصر فلتة لسان..

http://www.maktbtna2211.com

لماذا لم يحدثنى عند أول مقابلة لى، عن زيارته لمصر؟

واذا كان نمساويا فكيف سمح له بالبقاء فى مصر حتى عام ١٩٤٠ أى بعد اعلان الحرب، والنمسا كانت معتبرة من دول الأعداء بل كانت قطعة من ألمانيا؟ وكيف سمح له بمغادرة مصر فى ذلك التاريخ ولم يقبض عليه ولم يعتقل؟

واذا كان شيوعيا كما حاول أن يقنعنى فكيف سمح له بزيارة انجلترا فى الفترة التى غاب فيها عن فندق الغرباء، وقد رأيت بعينى رأسى تأشيرة السفارة الانجليزية فى باريس فوق جواز سفره؟

ثم ما هى حركة «نهضة الجيل الجديد» التى يقوم بها، ولماذا يريد أن ينشرها فى مصر ولماذا وسطنى لدى المفوضية المصرية فى حين انه يعلم ان كل من يحمل «فيزا» لزيارة انجلترا يستطيع أن يحصل على فيزا لزيارة مصر؟

انه جاسوس ولاشك.. ولكن هل هو جاسوس انجليزى؟ أم روسى؟ أم من أتباع هتلر الذين مازالوا منبثين فى كل مكان من أوروبا؟

http://www.maktbtna2211.com

وجوه لم أعرفها

ميناء مرسيليا

http://www.maktbtna2211.com

كنا وقوفا فى صف طويل فى انتظار الكشف على جوازات السفر لنصعد إلى الباخرة أندريه ليبون التى ستحملنا إلى مصر، وفجأة وقفت سيارة «دمار» سوداء فخمة وقفز ضابط انجليزى وفتح بابها لسيدة فى الأربعين من عمرها تكفى نظرة واحدة إلى الخاتم الذى يسطع فى أصبعها لتعلم انها من صاحبات الملايين.

ولم تقف السيدة معنا فى الصف بل اتجهت توا إلى سلم الباخرة، وصعدت يتبعها الضابط الانجليزى يحمل جواز سفرها وثلاثة من الحمالين يحملون حقائبها وموظفو الجمرك الفرنسى يرفعون يدهم بالتحية والاجلال.

وسرت همهمة بيننا ـ نحن الواقفين منذ ساعتين فى الصف ـ ولكن أحدا منا لم يتعرف على شخصية هذه السيدة.

وقدمونى إليها فى قاعة الطعام بعدما تحركت الباخرة.. قدمنى إليها صديق مصرى من أولاد الذوات وسليل عائلة كبيرة اشتهرت بالغنى.

انها السيدة «ز» يونانية تقيم فى مصر وتمتلك عزبة شاسعة عند دمنهور وأخرى فى الصعيد وتمتلك شوارع بأكملها فى مدينة الاسكندرية، وقد أطلق على أحد هذه الشوارع اسم عائلتها، ولها أملاك فى انجلترا وعلى شواطىء الريفيرا وفى اليونان.. وهى

http://www.maktbtna2211.com

جميلة رائعة الجمال يصهرك دفء عيونها ويزعج أعصابك منها سخونة سن الأربعين!

وربما كان أجمل ما فيها حديثها، فهى تستطيع أن تحدثك أياما دون أن تمل سماعها، وتستطيع أن تنتقل بك من جنوب افريقيا حتى القطب الشمالى فى قصص وحوادث شهدتها بعينيها وقامت فى بعضها بدور البطولة.. وكانت فى أحاديثها تأتى على ذكر رجال عظام بلا كلفة وبلا تصنع.. تشرشل.. اتلى.. كيلرن.. جنرال ستون.. صدقى باشا.. الملك جورج ملك اليونان.. وشخصيات أخرى تنحنى لها الرقاب وكلهم أصدقاؤها وكلهم حضروا حفلاتها التى كانت تقيمها فى قصورها المبعثرة فى أنحاء أوروبا ومصر.

وهى فى حديثها تحاول أن ترضى جميع مستمعيها وتحاول أن تفوز باعجابهم وصداقتهم، وقد حدث مرة أن قامت بينى وبين أحد زعماء اليهود المسافرين على نفس الباخرة - وهو رئيس جمعية الهستدروت فى فلسطين - مناقشة حادة حول القضية الفلسطينية بلغ من حدتها أن أزعجت جميع الركاب، وخيل إلى أثناء المناقشة أن «ز» تدافع عن آرائى، ويظهر أن اليهودى الفلسطينى خيل إليه نفس الشىء، فقد وجدتهما بعد ساعة من انتهاء المناقشة منفردين فى ركن منزو يجمع بينهما حديث هادىء!

وهى متعصبة فى آرائها السياسية للانجليز، وتؤمن بأن الامبراطورية العجوز لاتزال شابة ولم تخط بعد الخطوة الأولى نحو الفناء.. قالت لى مرة عندما أحست تعصبى ضد انجلترا: «ياصديقى.. كن عاقلا.. ان الانسان لابد له من سند قوى فى الحياة، ولا أظنك تريد روسيا سندا لك، وصدقنى ان الانجليز أغبياء تستطيع أن تضحك عليهم، ولكنك لا تستطيع أن تستغنى عنهم»!؟

وسهرنا ليلة على سطح الباخرة حتى الساعة الثالثة صباحا..

http://www.maktbtna2211.com

وحيدين ليس معنا إلا صوت أغنية عبرية حزينة تغنيها امرأة من المهاجرين اليهود من ركاب الدرجة الثالثة..

وفى هذه الليلة شربت مدام «ز» كثيرا وحدثتنى كثيرا.. حدثتنى عن خدماتها للامبراطورية الانجليزية، وعن خدماتها السياسية الخطيرة التى أدتها لملك اليونان وعن بعض الأمراء المصريين المقيمين الآن فى انجلترا، وعن حوادث كنت أجهلها عن لورد وليدى كيلرن.

وعندما سألتها هل يعود الملك جورج إلى اليونان؟ قالت فى لهجة طبيعية كأنها تتحدث عن شىء قررت أن يحدث وسيحدث!

- انه سيعود يوم ٢٠ سبتمبر.

قالت ذلك وكنا فى ١٤ أغسطس عام ١٩٤٥ أى قبل اجراء الاستفتاء فى اليونان بشهر تقريبا.. وقد عاد الملك جورج إلى اليونان يوم ٢٠ سبتمبر..

واذا كان أحد قد اقنعنى بأن انتخابات اليونان زورت فهى مدام «ز»!!

http://www.maktbtna2211.com

وجوه لم أعرفها

لنـــــدن

http://www.maktbtna2211.com

دعـانى الكولونيل «ر» من الضبـاط البـريطانيـين المتقاعدين، وأحد أعضاء البعثة العسكرية البريطانية فى مصر سابقا إلى تناول الغداء فى نادى الفرسان Gavalary Club وهو أفخم نوادى لندن وأعلاها مرتبة ورئيسه الفخرى ملك.. هو ملك الانجليز.

وبعد الغداء قدمنى صديقى الكولونيل إلى الكابتن «س».. شاب فى ثياب مدنية، قصير القامة ممتلىء الجسم يعلو رأسه شعر طويل أصفر مشعث كحزمة من قش القمح، حتى تخال انه لم يعرف طريق الحلاق منذ أن ولد!

وهو قليل الكلام أصم الوجه لا تعبر عيناه عن شىء، وهو يبتسم ولكن ابتسامته لا تصل إلى قلبك، وقد يغضب ولكن غضبه لايثير أعصابك.. انه قطعة من الثلج يتساقط ذوبها فى عروقك فتحس بقشعريرة!

وقد طاف معى الكابتن «س» حجرات النادى شارحا لى الصور الزيتية التى تغطى الجدران والتماثيل التى تطل من وراء كل باب.. صور وتماثيل لجنود الامبراطورية وكل منهم له قصة أريقت بين سطورها الدماء، ونودى بصاحبها بطلا من فوق أجداث القتلى، انهم جميعا حاربوا وخاضوا المعارك لا من أجل الامبراطورية - استغفر الله - بل من أجل سلام وحرية العالم.. أو هكذا قال

http://www.maktbtna2211.com

صديقى!!

ووقف بى صاحبى طويلا أمام صورة زيتية كبيرة معلقة فى صدر بهو الحفلات بالنادى.. انها صورة رجل يسير متخاذلا منهوكا بين عاصفة ثلجية..

وقد رأيت من هذه الصورة ملايين النسخ فى كل شارع وفى كن بيت انجليزى..

ولم يتكلم صاحبى كعادته شارحا قصة الصورة، بل ظل دقائق طويلة معلقا نظره فى صمت قاس وهو يضغط على شفتيه ويقبض أحد كفيه بالآخر فى قوة وعصبية كأنه يغالب دموعا قد تنفجر من عينيه أو يقاوم أعصابه حتى لا يخر مغشيا عليه.. ثم تمتم فى صوت خافت وهو لايزال شاخصا بناظريه إلى الصورة: «هذا هو بطلنا العظيم»..

والبطل هذا هو «الكابتن ارتس» من ضباط سلاح الفرسان، وقد كان أحد أعضاء بعثة سكوت الاستكشافية إلى القطب الشمالى، ثم مرض أثناء الطريق وخشى أن يعوق مرضه رفاقه عن اتمام الرحلة، فتسلل خلال الليل من معسكر البعثة واختفى بين الثلوج إلى الأبد!

وقال صديقى والكلمات تتقطع بين أسنانه «كان هناك أمل فى شفائه.. و

كان يعلم ان رفاقه لن يخطوا خطوة أخرى إلى الأمام إلا بعد أن تعود إليه صحته، كان يعلم انهم ربما عادوا أدراجهم من حيث بدأوا ليلحقوه بأقرب مستشفى..

ولو حدث ذلك لما تمت الرحلة. وقد فضل أن يموت على أن يعوق زملاءه عن اتمام الرحلة».

وسكت قليلا ثم قال:

«ان الكثيرين خدموا الامبراطورية بموتهم أكثر مما خدموها بحياتهم».

http://www.maktbtna2211.com

ودعـانى الكابتن «س» إلى العـشـاء فى ناد «البـانى Albany وتحدثنا ليلة بأكملها.. فقد زار القاهرة وزار العراق وزار شرق الأردن والهند وايران وكانت كل زيارة تستغرق عاما وبعضها يستغرق ثلاثة أعوام.. أما ما هى دوافع هذه الزيارات وماذا قام به فى كل من هذه البلاد؟ فلم يقل لى شيئا ولم يكن من حقى أن أسأله!!

وهو مهتم بالناحية الدينية فى مصر، ويكثر من أسئلته عن مشايخ الطرق وعن البكرى وهل يتمتع بقوة شعبية كبيرة، وما هى الروابط بين المسلمين والأقباط.. وكم نسبة المتعاملين فى كل من الطائفتين ونسبة موظفى الحكومة من كل طائفة!!؟

وعندما أحس انه تمادى فى أسئلته بدأ هو يتحدث، ولم يكن حديثه يهمنى فى شىء.. وأعتقد انه كان يعلم هذا، فلم يكن من المعقول أن يهتم صحفى مثلى بحديث عن الخيول والجمال العربية وماهى صفاتها وطرق تربيتها!

ومضت أيام..

وكنت أزور وزارة الخارجية البريطانية فلمحته يخرج من أحد الأبواب وربما كان قد لمحنى كما لمحته، ولكنه تعامى فتعاميت!!

ومضت أيام أخرى..

وكنت مع صديق انجليزى فى حانة تدعى «الأجراس الثمانية» وهى حانة تؤمها طبقة من الشعب الانجليزى مصابة «بلحسة» عجيبة، فتجد فيها سائق التاكسى بجانب أحد اللوردات، وابن الذوات بجانب ابن الحداد، وابنة مليونير بجانب امرأة عاهرة، وكل شىء مباح بين أرجائها حتى ما لا يحله الشيطان!

وفجأة اصطدمت به خارجا وفى ذراعه امرأة، امرأة شابة تطل الفتنة من عينيها ـ

http://www.maktbtna2211.com

ولم يكن مخمورا ولا ملحوسا، كبقية زبائن الحانة ـ واكتفى بأن رفع قبعته محييا عندما تقابلت نظراتنا، واختفى فى ظلام لندن.

وسألنى صديقى الذى صحبنى إلى حانة الأجراس الثمانية: «أتعرف هذا الرجل»؟

وأجبت بالايجاب فقال:

ـ هل تعرف انه أنحس انسان فى العالم.. لقد حاول منذ أسابيع أن ينتحر، فأغلق على نفسه حجرة نومه وفتح صمام الغاز ثم نام فى انتظار الموت..

ولكنه استيقظ فى الصباح فلم يجد نفسه فى العالم الآخر!

قلت: كيف؟

قال: اتضح ان عمال شركة الغاز اضربوا عن العمل ليلتها فلم يصل الغاز إلى المنازل.. هل سمعت عن نحس أكثر من هذا؟

قلت: لا.

ومرت أيام..

وغادرت لندن إلى باريس فإذا بى التقى به فى فندق جورج الخامس الذى كان يقيم فيه أعضاء الوفد البريطانى لدى مؤتمر السلام الذى عقد فى أغسطس عام ٤٥..

ودعوته إلى كأس من الابراتيف وسألته:

ـ هل ستقيم فى باريس طويلا؟

ـ سأغادرها غدا..

قلت: إلى أين؟

قال وهو يبتسم تلك الابتسامة التى لا يمكن أن تصل إلى قلبك:

ـ إلى الشرق!!

من هو؟ وماذا كان يعمل فى وزارة الخارجية؟ وهل حاول الانتحار ليخدم الامبراطورية بموته أكثر مما يستطيع أن يخدمها

http://www.maktbtna2211.com

بحياته، ثم ما هى مهمته فى باريس؟ وإلى أى بلد من بلاد الشرق سيرحل؟

لست أدرى!!

http://www.maktbtna2211.com

وجوه لم أعرفها

باريـــــس

http://www.maktbtna2211.com

«ك» مـخلوق لبنانى الأصل مـتـجنس بالجنسـيـة الفرنسية، عندما تقابله ينحنى بين يديك حتى تكاد جبهته تلمس الأرض سواء كنت عظيما أم حقيرا وسواء جئت تطلب إليه حاجة أو تسد له حاجة.. وهو يتحدث فى صوت خافت لا يكاد يصل إلى أذنيك وتخرج كلماته من بين ابتسامة رياء وخسة ونذالة.

هذا المخلوق الوضيع الخسيس المرائى، مليونير قابلته فى باريس لعمل يتعلق ببعض الأصدقاء المصريين فطلب منى أن أزوره فى مكتبه، وعندما زرته استقبلتنى سكرتيرته..

انها.. «انثى» - وهو التعبير الوحيد الذى ينطبق على حضرة السكرتيرة - تفوح منها رائحة الدنس وتهب منها أنفاس تسلبك أعصابك وتدوخك، لتفيق بعدها وأنت تلطم الخدين..

واعتذرت لى السكرتيرة لعدم وجود «ك» وطلبت إلى الانتظار قليلا، ثم جلست لا إلى مكتبها بل فوق مكتبها، وساقاها العاريتان - إلى ما فوق الساقين - تتدليان أمام عينى وتهتفان بى أن تقدم ولا تخف!

واختارت حضرتها أقصر حديث يوصلك إلى طلب موعد لتناول العشاء!

ولكن حديثها لم يؤد إلى ما سعت إليه، وربما اعتبرتنى طفلا أو «نيلة» لأنى لم أخضع لتأثيرها.. أما أنا فاعتبرتها شركا حاولت الافلات منه.. شركا وقع فيه كثيرون ومن بينهم مصريون عظماء، وسلوهم عن الصفقات

http://www.maktbtna2211.com

الخاسرة التى عقدوها مع المليونير «ك» على يد سكرتيرته، سلوهم عن الذهب الذى باعوه بواسطة هذه الأنثى بسعر يقل أضعافا عن سعر السوق الرسمية والسوق السوداء، سلوهم عن الليالى التى قضوها فى المنزل الريفى الهادىء الذى يملكه صاحبنا المليونير فى بلدة «فونتنبلو» والخراب الذى لحق بهم عندما استيقظت هذه الليالى على نور الصباح.

انها سلسلة فضائح ترفع بين سطورها أسماء رجال رسميين وغير رسميين قد يدونها قلمى يوما عندما يصبح اغتيالى لا يهم أحدا!!

وعندما يئست السكرتيرة أنخلتنى إلى المليونير، ولم يستمر حديثنا طويلا، فقد كرهت ابتسامته وكرهت مساومته وصحت «لا» بكل ما فى من قوة ارادة، وخبطت الباب ورائى وهربت هروب الملاك من وكر الشيطان.

وحتى عام ١٩٤٠ كان ذلك الرجل فقيرا لا يملك مليما، يشتغل سمسارا فى عقد الصفقات الصغيرة، وكان يقيم هو وعائلته فى حجرتين فوق سطح أحد المنازل بشارع سان «جيرمان» وقد أصبح خلال ست سنوات مليونيرا يستطيع أن يرفع سماعة تليفون ليأمر أى سفارة أو أية مفوضية بمساعدة فلان وعلان..

وهو يطير فى كل أسبوع مرة إلى سويسرا يعود بعدها إلى باريس وفى يده حقيبة لا يجرؤ أحد من رجال الجمرك الفرنسى ولا السويسرى على فتحها أو سؤاله عن محتوياتها.. وقد حدث عندما كنت فى باريس أن حاول أحد رجال جمرك مطار بورجيه أن يفتح هذه الحقيبة، فاكتفى المليونير - وسمعته بأذنى - يلفظ اسم شخصية عالمية كبيرة نسب إليها ملكية هذه الحقيبة.. وأنحنت ساعتها الرقاب.

ورغم كل هذه الملايين التى يملكها، فإن أحدا لا يعرف أين ملايينه، وان أحدا لا يعلم كيف جمعها.. وهو مازال يقيم فى الحجرتين المتواضعتين بشارع «سان جيرمان» وقد تنتهى اقامته فى مسكنه القديم بحكم يصدر عليه بالاعدام تطبيقا لقانونين، احدهما قانون التجسس، والآخر قانون الاتجار فى السوق السوداء.

http://www.maktbtna2211.com

وجوه عرفتها

راقصة وقلم

.. وهذه وجوه أخرى عرفتها.. وربما عرفتها أكثر مما تعرف نفسها، لأنى عشت معها أكثر مما عاشت معى، ولمحت فيها أكثر مما أرادتنى أن ألمح.

وجميع أصحاب هذه الوجوه أحياء، وان لم يعرف القارئ أسماءهم من بين السطور، فهم يعرفون أنفسهم، رغم انى حاولت أن أتستر عليهم صونا لذكرياتهم.. ولعل هذا المجهود الذى بذلته يشفع لى عندهم فلا يغضبون ولا يثورون، كما عودونى الغضب والثورة كلما مسهم قلمى من بعيد أو قريب!!

http://www.maktbtna2211.com

كان لايزال طالبا فى الجامعة عندما عرفها.. وكان قد مضى عليها أربعة أيام منذ أن احترفت الرقص فى احدى صالات شارع عماد الدين..

أما كيف عرفها وما هو تاريخ حياتها قبل أن تحترف الرقص فهذه قصة طويلة تحتاج إلى كتاب.

وعندما رأته لأول مرة لم تر فيه غذاء لقلبها ولا ما يحقق آمالها وإنما رأت فيه خطوة إلى الأمام!!

وقد كان لابد لها أن تختار عشيقا، ولو خيرت لاختارت عشيقها من بين أفراد التخت أو من بين خدم الصالة أو من بين هؤلاء الذين احترفوا العشق وأجادوه وفهموا كيف يرضون الأجساد الرخيصة والعقول الضيقة التى تعيش فى «الصالات» وتلمع من حولها الأنوار، وتظل هى منطفئة إلى الأبد.

ولكن طموحها لم يترك لها أن تختار عشيقها، فقد كانت تريد أن تترفع عن زميلاتها وأن تلمع حتى يطغى نورها على من حولها.. وقد رأت فيه رغم صغر سنه ورغم فقره خطوة قصيرة نحو المجد الذى تحلم به، فقد كان صاحب قلم.. قلم هزيل ضعيف.. ولكنه يستطيع أن يخط لها سطرا تنشره مجلة من المجلات السخيفة التى تباع على موائد المخمورين ومحترفى العشق..

أما هو... فقد اختارها لأنه كان يستعد للامتحان وكان يريد فتاة

http://www.maktbtna2211.com

«غلبانة» تقبل أن تعاشره دون أن تتعبه.. فتاة ترضى بفقره دون أن تلومه عليه، وترضخ لأوامره دون أن تناقشها..

وكان قد تعود أن يسعى دائما وراء شهيرات الراقصات وزعيمات الفن المدنس، وكان سعيه هذا يكلفه مجهودا ويستأثر بفكره، اما الآن فدراسته تحتاج إلى كل مجهوده وكل فكره، فرضى بهذه الراقصة الجديدة لتملأ عليه وحدة أيامه. الوحدة التى كان ولايزال حتى اليوم يخافها لأنه يخاف نفسه..

ولم تنقض الليلة الأولى حتى تفاهما.. تفاهما على أن كليهما لا يحب الآخر وإنما كلاهما محتاج للآخر..

وكان قد عوضها عن الحب بشىء جديد عليها وعاطفة لم تحسها من مخلوق آخر قبل اليوم.. وهى عاطفة الاحترام.. فقد كان يحترمها، ويحترم نوع تفكيرها، ويحترم جسدها ويحترم مناقشتها.. وهى لا تذكر يوما أنها سمعته يوجه إليها ألفاظا نابية مما تعودت أن تسمع مثله كلما توجه إليها صديق أو صديقة بتحية الصباح أو المساء، ولا تذكر أنه أهان يوما جسدها الذى اهانه كل من عبر فى طريقها، إنما كان يعتبره - أى جسدها - قطعة فنية ثمينة غالية، يقربها بحساب ويقلبها بين يديه بحساب.

وهى لا تدعى أن هذا الاحترام قد أشبعها، فقد كانت دائما تحن إلى الرجل الذى يسخر من تفكيرها ويصفعها ويغتصب دموعها من عينيها.. ولكن هذا الحنين كان يخمد طموحها، وكان الاحترام الذى عاملها به يتمشى مع هذا الطموح ومع تشبثها بالترفع عن زميلاتها واعتقادها بأنها خلقت من طينة أنظف من الطينة التى تكسو شارع عماد الدين!

بل ان هذا الاحترام جعلها تحترم نفسها وتصون كبرياءها.. وقد

http://www.maktbtna2211.com

استطاع أن يقنعها بأن الرقص مهنة شريفة، وفن معبر، وان جسدها العارى هو قيثارة عازف، تبكى أوتارها حينا وتضحك حينا، وتحب وتكره وتثور وتهدأ، وإن هذا الجسد عندما يتلوى على خشبة المسرح إنما يبلغ رسالة من رسالات الفن. الرسالات التى حملها يوما روفائيللى الرسام، وبيتهوفن الموسيقى وكاروزو المغنى، وبافالوفا الراقصة، والتى يحملها اليوم محمود بك حسن ومحمد عبدالوهاب وأم كلثوم وتوفيق الحكيم وعلى محمود طه وهى.. وهى الراقصة التى تعرض جسدها فى وكر الشيطان لقاء أربعة جنيهات فى الشهر!

وكانت تعود إليه كل مساء بعد انتهاء عملها حاملة بين يديها طعام عشائها الذى جمعته من بقايا «المزات».. ثم تجلس تحت أقدامه وهو يستذكر دروسه صامتة لا تتكلم.. و قد ينقضى على صمتها ساعة وساعتان وثلاث، دون أن يلتفت إليها أو يتوجه إليها بكلمة، وكانت تتحمل هذا الصمت صابرة فقد عودها أن تحترمه كما يحترمها، وأقنعها انها مسئولة عن نجاحه وعن مستقبله وعن تحقيق آماله..

وكانت له آمال كما كانت لها آمال، وكان طموحا كطموحها، يريد أن يفرض قلمه على الناس ويريد أن يضع اسمه على صدر كل صحيفة، وان يضع زعماء بلده بين أصابعه يحركهم بقلمه ويثور عليهم ويصلح من شأنهم، ويريد أن ينفث عن صدره هذه النار الوطنية التى تحرق أعصابه والتى حاول كثيرا أن يسطرها فى مقالات تنشرها الصحف فكان نصيبها دائما سلة المهملات، لا لأنها مقالات تافهة بل لأنها كانت تحمل اسما تافها.. اسمه هو..

وكان عندما ينتهى من استذكار دروسه يحدثها عن آماله هذه

http://www.maktbtna2211.com

وتحدثه عن آمالها، فإذا كان الصباح قامت قبل أن يقوم تكنس له بيته وتغسل له جواربه ثم تدس يدها فى جيبه فتأخذ منه عشرة قروش، تشترى بقرشين منها طعاما لافطاره تتركه له على مائدته، وتستأجر بالباقى عربة حنطور تحملها إلى منزلها..

وكانا أحيانا يقضيان النهار معا، فيسمعها اسطوانات ألحان تشايكوفسكى وشوبان وبتهوفن، ويحاول أن يجعلها تتذوق هذه الألحان، بل كان يأمرها أن ترقص على أنغامها، فكانت تتلوى أمامه بلا ضابط لحركاتها إلا ما يهز أعصابها وروحها من موسيقى شوبان أو بيتهوفن، وكان يصيح فيها وهى ترقص «إبكى» فتتهافت بجسدها فى بطء معذب وكأنه دمعة تسيل على خد باك.. ثم يصيح فيها: «إضحكى» فينتفض جسدها كأنه قهقهة توفيق دياب بك لنكتة من نكات كامل الشناوى.. ثم يصيح فيها: «توسلى» فتسقط بجسدها تحت أقدامه وتتمايل به فى استجداء مثير حتى يشعر هو نفسه بالشفقة والحنين!

وكان فوق ذلك يقرأ لها كتبه التى يقرأها، ولو جلست إليها اليوم لروت لك شعر شوقى وقصص أوسكار وايلد ولحدثتك عن النظرية الايطالية فى قانون العقوبات وآراء «جيد» فى النقد المتداول.. تحدثك عن كل ذلك، وقد لا تكون قد فهمت منه شيئا، ولكنها حفظته عنه..

ومر عليهما شهران نجح خلالها فى امتحانه..

وجلسا يوما يتحدثان فى هدوء وتفاهم، فقال لها أنه يرى ان الوقت قد حان لينفصلا، فإنه لا يكفى أن يجلسا إلى بعض ويحلما بالمجد، بل يجب أن يخرج كل منهما إلى طريقه باحثا عن مجده، فهى لن تجد المجد بين ذراعيه مهما طال عليها الأمد، وهو لن يجد مجده بين أحضانها مهما سعى إليه.. لقد سلحها بكل ما عنده،

http://www.maktbtna2211.com

سلحها بالثقة والاحترام وتقدير فنها وعليها اليوم أن تخرج لتقتحم بسلاحها الدنيا، واذا كانت قد اعتبرته خطوة إلى الأمام، فعليها اليوم أن تخطو خطوات أخرى وأن تختار عشاقها بحيث يرفعها كل واحد منهم على سلمه حتى تصل إلى القمة..

وأطرقت برأسها قليلا تفكر.. انها لا تستطيع أن تعيش على ألحان شوبان وأشعار شوقى وأن ترقص له وحده، انها تريد الشبع وتريد النور وتريد أن تسمع هتاف الجماهير وترى صورتها على صفحات الصحف.. وتريد الفراء الثمين والماس.. وتريد أن تنتقم من حياتها، ومن أيام مرت بها، وتأخذ من الدنيا بقدر ما أخذت الدنيا منها ومن أهلها.

وقامت وجمعت ملابسها التى كانت تحتفظ بها عنده ثم تركته بعد أن قبلت يده..

وقبل أن تغلق وراءها الباب صاح يأمرها كعادته عندما كانت ترقص له «إضحكى» ولأول مرة تخالف أمره.. فقد بكت.. بكت هذه المرة بدموعها لا بجسدها!

ولم تعد إليه منذ ذلك اليوم، وكانا اذا التقيا ابتسما وتصافحا، وكأنها لم تكن يوما له ولم يكن يوما لها، ولكن كلاهما كان يتتبع أخبار الآخر، ولو عرفتهما لعرفت ان كلا منهما يحتفظ بكراسة يجمع فيها كل ما نشرته الصحف للآخر، فهى تجمع مقالاته منذ بدأ يوقع الحرف الأول من اسمه فى جريدة غير ذائعة الانتشار، إلى أن أصبح اسمه كاملا وعلى صدر الصفحة الأولى من أى جريدة يختار.. وهو قد جمع صورها وما كتب عنها فى الصحف منذ أن كتب اسمها فى اعلانات رخيصة عن الفرق المسرحية المتجولة، إلى أن أصبحت نجمة وصاحبة شركة سينمائية تفخر

http://www.maktbtna2211.com

المجلات بنشر صورتها على صفحاتها..

وكان يسمع عن قصص غرامها فيضحك.. يضحك لأنه يعلم انها لا يمكن أن تحب، وعندما تحب يوما فسيكون حبيبها من بين أفراد التخت أو من بين خدم «الصالة» أو أحد محترفى العشق الذين أجادوا ترويض هذه الأجساد الرخيصة والعقول الضيقة.. انها مهما تمادت فى رقيها ومهما أسبغت عليها الدنيا من نعمها ومهما تظاهرت بالترفع وسعة العقل والتفكير، فستظل أبدا احدى راقصات شارع عمادالدين.. أما هذا المحامى الشاب وهذا الصحفى الكبير وهذا المليونير المشهور فليس كل هؤلاء وغيرهم إلا خطوات إلى الأمام..

وكان يحلو له أحيانا أن يقارن بين نفسه وبينها، وبين جهاده وجهادها.. انها ترقص على المسرح وهو يرقص على صفحات الصحف، وهى تعرى جسدها أمام الناس وهو يعرى روحه وأعصابه وعقله أمام قرائه، وهى تجتمع بكبار القوم فى المساء لتبتز أموالهم، وهو يجتمع بهم فى الصباح ليبتز أخبارهم، وهى ملك للجمهور تعيش له وبه، وهو أيضا ملك للجمهور يعيش به وله، وهى صاحبة شركة سينمائية مفروض فيها نشر الثقافة وتأدية رسالة، وهو يحاول أن يكون صاحب شركة صحفية مفروض فيها نشر الثقافة نفسها وتأدية الرسالة نفسها، وهى تنتقل بين عشاقها وهو ينتقل بين الحكومات والزعماء والأحزاب، وقد تضطر كثيرا أن تكذب وتخدع، وهو أحيانا كثيرة يضطر لأن يكذب ويخدع، وهى تسافر إلى أقطار الدنيا لتجمع المال والمعجبين، وهو أيضا يسافر ليجمع المال والمعجبين!

انه جهاد واحد يجمع بينهما، ورسالة واحدة يؤديانها، وكل ما

http://www.maktbtna2211.com

هنالك ان كلا منهما يعمل فى ميدان منفصل.

وأخيرا، وبعد أن وصلت إلى القمة - أو ظنت ذلك - حادثته بالتليفون ودعته إلى منزلها.. وقالت له وقد أحاطته بأهداب عينيها:

- لقد تعبت.. ألم تتعب مثلى!؟

قال:

- إن الراحة ليست من حقنا وقد كان يمكننى أن أظل فى حجرتى الضيقة حتى اليوم، وكان يمكنك أن تكتفى من الدنيا بالعشرة قروش التى كنت تأخذينها من جيبى كل صباح.. ولكننا أردنا المجد.. وهذا التعب الذى تشكين منه هو ضريبة المجد..

قالت:

- لقد تعبت من الوقوف على المسرح، ألا يمكننى أن أجلس ولو قليلا مع الجمهور؟

قال:

ان الجمهور أقسى علينا مما تتصورين فهو لا يريدك إلا واقفة على قدميك، ويوم تجلسين حيث يجلس سيحتقرك ويصفق لغيرك..

قالت:

- لقد تعبت من التصفيق..

قال:

- انه السياط التى تلهب ظهورنا فى طريق المجد.. والأكف التى تصفق تستطيع أن تصفع.. فاحذريها.

قالت:

- اذن تعال قف معى فأنت وحدك تستطيع أن تمنعنى من الوقوع مغشيا على..

قال:

http://www.maktbtna2211.com

ـ لا أستطيع.. فقد رفع الجمهور كلا منا فوق قمة. ولو خطا احدنا نحو الآخر فسنسقط إلى الهاوية!!

قالت:

ـ أى هاوية؟

قال:

ـ كلام الناس..

وقبل أن يغادر الدار صاح يأمرها «إضحكى».. وللمرة الثانية خالفت أمره فقد بكت.

ورفع رأسها بين يديه، وقال وهو يكبت أعصابه:

ـ لقد عودتنى أن تطيعى أوامرى.. قلت لك اضحكى!!

ولم ترد وإنما انحنت وقبلت يده..

انها اليد الوحيدة التى تعودت أن تقبلها.

http://www.maktbtna2211.com

وجوه عرفتها

ستة رجال وفتاة

http://www.maktbtna2211.com

وقعت حوادث هذه القصة فى عام ١٩٤٣ وأشخاصها جميعا لايزالون أحياء ومازالت أسماؤهم تتردد على السنة الناس كل يوم.. وقد اضطررت أن أغير من بعض الوقائع حتى استكمل عناصر القصة - إن كانت قصة - وحتى أتستر على أبطالها الذين يهمهم أن تبقى ذكرياتهم فى طى الكتمان.

□ □ □

عندما وضعت قدمها على أول درجة من درجات المجد، تلقاها بالتصفيق والهتاف ستة من الأدباء والفنانين.. وكان تصفيقهم وهتافهم لجمالها أكثر منه لمواهبها.

كانت جميلة، وفى جمالها وداعة الحمل الذى يغرى الذئاب، وقد ظن كل منهم أنه يستطيع أن يقوم بدور الذئب دون أن يكلفه ذلك إلا أن يخفى أنيابه.

وبدأ كل ذئب منهم يضع خطة الهجوم، وقد بدأت الخطط كلها بطريقة واحدة، لا تتعدى ارسال الهدايا، وتدبيج المقالات فى الاشادة بمواهب الحمل الوديع، ونثر الورود والرياحين فى طريقه، وفتح أبواب المجد أمامه.. وقد فتحت بعضها عنوة بعد أن عجز الحمل عن فتحها بمواهبه.

وبعد أن مضت شهور، اكتشف الرجال الستة فجأة انهم لا

http://www.maktbtna2211.com

يصلحون للقيام بدور الذئاب، وان الحمل الوديع استطاع أن يسلم من أنيابهم، لسبب واحد: هو ان كلا منهم كان يستعمل أنيابه كلها فى نهش لحم زميله، محاولا أن يبعده عن الحمل ليخلص له وحده.

واجتمع الستة فى مكتب احدهم وعقدوا شبه مؤتمر لتوحيد الجهود وتنظيم الصفوف، واقتسام الغنيمة.

وقد بدأوا أولا بأن اعترفوا فيما بينهم أنهم جميعا كانوا مغفلين، وسيظلون مغفلين إلا اذا اتفقوا على خطة معينة، ان لم تضمن لهم جميعا الفوز بالفتاة فقد تضمن لواحد منهم الفوز بها، أو على الأقل تضمن لهم أن تنتهى هذه المهزلة التى تستفيد منها الفتاة وحدها.

وهنا ارتفعت أصوات الرجال الستة وكل منهم يدعى بأنه أحق بالفتاة من الآخرين.. هذا يستشهد بأنه كان أول من اكتشفها، والآخر يؤكد انه هو الذى منحها المجد، والثالث مقتنع بأن فنها من فنه وانها فى حاجة إليه دون غيره.

وصاح واحد منهم:

- ياجماعة.. كل هذا لن يصل بنا إلى شىء.. ولنعترف أولا بأن هذه الفتاة ليست ككل امرأة مرت بنا وطوتها ذكرياتنا، ولنعترف أيضا بأن كلا منا لا يريدها الليلة أو لاسبوع أو لشهر، بل يخيل إلى - أنا شخصيا - انى أريدها العمر كله.. اعترفوا معى بأن ما بيننا وبين هذه الفتاة ليس عاطفة طارئة، بل هو حب.. حب صحيح تزداد حرقته كل يوم.. ان كلا منا يحب نفس الفتاة، والفتاة لا يمكنها إلا أن تحب واحدا منا فقط - أو هذا على الأقل هو المفروض - فمن هو هذا الواحد؟

وسرت همهمة بين الجماعة وتحفز كل منهم ليتكلم، ولكنه قاطعهم قائلا:

- ان واحدا منا لا يستطيع أن يقول «أنا».. فالكلمة الأولى والأخيرة فى هذا الموضوع الخطير يجب أن تكون للفتاة.. ويجب أن

http://www.maktbtna2211.com

نتمسك بفضائل «الجنتلمان» ونترك لها حرية الخيار.. هل أنتم موافقون؟

وصمت الجميع برهة، ثم بدأت الرؤوس تهتز علامة الموافقة، إلى أن سأل أحدهم:

- ولكن كيف نجعلها تختار بيننا.

وقال صاحب الاقتراح:

- المسألة غاية فى البساطة.. ندعوها إلى جلسة تضمنا جميعا، ثم يبدأ كل واحد منا يقول ما عنده عن نفسه، وما يستطيع أن يقدمه لها.. ثم نطلب إليها أن تختار رجلها بصراحة وبلا مواربة.. ولكن بشرط واحد وهو أن نقسم جميعا الآن على أن نقول الحق ولا شىء غير الحق، وألا يحاول أحدنا أن يزيد فى قدر نفسه أو يدعى ما ليس له.. حتى يكون الانتخاب حرا نظيفا، وحتى لا نكون قد غررنا بالفتاة التى نرجو لها جميعا السعادة والهناء مع أى رجل كان..

وتمت الموافقة على الاقتراح، وأقسم كل واحد أن يقول الحق ولا شىء غير الحق..

وفى منزل احدهم اجتمع الرجال الستة وبينهم الفتاة..

وبدأ صاحب الاقتراح فقال:

- عزيزتى.. اننا اجتمعنا الليلة لنترك لك حرية الخيار بيننا، فأنت تعلمين أن كلا منا يتمناك ويتمنى أن يهبك قلبه، وحياته، وما ملكت يداه، وقد انتظرنا طويلا أن يفوز بك واحد من بيننا، ولكنك كنت حريصة على ألا تعلنى اسم الفائز، وألا تعلنى فى الوقت نفسه انتباء هذا السباق الذى اضنانا جميعا، وكنت حريصة على أن تضعينا جميعا فى منزلة واحدة منك، فعدد الابتسامات التى نالها كل واحد منا متساوية تقريبا، وعدد المرات التى اتصلت فيها تليفونيا بكل واحد منا متساوية تقريبا، وعدد المرات التى قبلت فيها دعوة كل منا متساوية أيضا.. وانى أشهد لك بالعدل والمساواة فى

http://www.maktbtna2211.com

معاملة شعبك الوفى.. ولكن.. العدل الكامل قد يوجد فى الآخرة، ولكنه لا يوجد فى الدنيا، ونحن قد قررنا أن نعيش فى الدنيا وأن نترك لأحدنا فرصة الفوز بك وليكن فى فوزه عزاء للآخرين.

وتنحنح الرجل ثم رفع كأسه ورشف منها رشفة الظمآن، ثم عاد يقول:

- ان كلا منا سيقدم لك نفسه الآن، وقد أقسم أن يقول الحق ولا شىء غير الحق.. وعليك بعد أن ننتهى من تقديم أنفسنا أن تتخذى قرارا بشأننا، ولو اخترت من بيننا واحدا فلن يحقد عليك الآخرون بل سيظلون أصدقاء أوفياء لك ما عاشوا، إنما المهم أن يصدر قرارك صريحا، وأن يصدر هذه الليلة بالذات.. هل توافقين؟

وابتسمت الفتاة، وأخفت وجهها بين يديها وكأنها خجلت أن يطلب منها اتخاذ مثل هذا القرار ثم رفعت رأسها وقالت فى صوت خافت:

- موافقة..

وتكلم نفس الرجل يقول:

- لأبدأ بنفسى أولا.. انك عرفت عنى الكثير.. وسمعت عن مغامراتى مع النساء الكثير، وربما خيل إليك ان بعض ما سمعته أو قرأته هو مجرد تشنيع، ولكنى أحب أن أقول لك ان ما يقال عنى هو قليل من كثير.. فأنا أنانى إلى أبعد حدود الأنانية، وكنت أحلل أنانيتى بأنى لن أستطيع أن أحب أحدا إلا اذا أحببت نفسى أولا، ولكنى عندما أحببت نفسى لم أستطع أن أحب غيرى، وأنا أيضا غيور على كل امرأة تمت لى بصلة، وقاس فى غيرتى، وهى غيرة أساسها أن هناك زوجات، وشقيقات وعاشقات، تركن أزواجهن وأشقاءهن وعشاقهن من أجلى.. فلماذا لا تتركنى زوجتى أو شقيقتى أو عشيقتى من أجل غيرى؟ وأنا أيضا ملول لم يدم حب فى قلبى أكثر من شهور، ولا تحملت وجه امرأة أكثر من أسابيع..

http://www.maktbtna2211.com

أما ما أستطيع أن أقدمه لك فهو قلم يستطيع أن يرتفع بك إلى المجد، ويدر على صاحبه ذهبا تستطيعين أن تبعثريه كيف شئت.. وثقى انى لا أريدك كامرأة، بل أريدك ممرضة تشفينى من الأنانية، والغيرة والملل وتلف الأعصاب.

وابتسمت له الفتاة ابتسامة يستطيع أن يفهم منها كل شيء ويستطيع ألا يفهم منها شيئا..

ثم أدارت رأسها للثانى، فقال وهو يضغط على غليونه بين أسنانه:

- انى انسان فاشل، وقد استطعت أن أقتنى من فشلى عزبة مساحتها مائتان وخمسون فدانا من أجود الأطيان.. وفشلى لم يقتصر على عملى ككاتب بل تعداه إلى مغامراتى مع النساء.. فما من مرة نجحت فى اقتحام قلب امرأة.. فإن وقع على اختيارك فكأنك اخترت أرضا «بور» يعزيك فيها انها معفاة من الضرائب، فإنى لن أطالبك بشيء وسيكون لك ان تفعلى بى كل شيء.

وابتسمت له الفتاة نفس الابتسامة التى ابتسمتها للأول ثم أدارت رأسها إلى الثالث، فقال ورأسه إلى الأرض، وكأسه ترتعش بين يديه:

- لا تبحثى عنى فى ثيابى بل ابحثى عنى فى ضلوعى.. فكل ما تراه عيناك ليس منى، وكل ما لا تراه عيناك فهو أنا.. أنا قلب يزخر بالمعانى ويصوغها أغانى، أنا فكرة يسطرها قلمى على الورق فتنير الحنايا.. وعيبى لدى النساء مظهرى وشكلى، ووساطتى إليهن روح رقيقة، وأعصاب تنبض للجمال.. وأنا أريدك لأصفح بك عن الدنيا التى ضنت على بقوام التابعى، ورشاقة عبدالوهاب، ولن أعدك إلا بشيء واحد: هو المجد، فمجد أى فنان على طرف لسانى وبين أصابعى.

وطاف ظل من التأثر فى عينى الفتاة، ولكنها أبعدته سريعا

http://www.maktbtna2211.com

وابتسمت له نفس الابتسامة، ثم أدارت رأسها إلى الرابع، فقال وهو يمسح شفتيه بكف يده بعد أن ارتشف كأسه:

- انى أعلم الناس بأنى قبيح الوجه، وليس لى ما يعوضنى عن قبح وجهى، حتى ولا خفة الدم.. ولكنى غنى كما تعلمين.. وأنت فى حاجة إلى المال حتى تتمى بناء مجدك، كما انى شديد الاتصال بالأشخاص الذين تحتاجين إليهم فى عملك، فاستطيع أن أقنعهم بأن يفسحوا لك الطريق.. وأنا أخيرا، رجل قنوع يكفينى منك ابتسامة، وأن تظهرى معى فى المحال العامة، فهذا يرضى غرورى، بل يكفينى منك أن تحبينى كوالدك، ولن تجدى لدى مانعا من أن يكون لك شاب فى مثل سنك، فأنا رجل واقعى حتى ولو المنى الواقع.

وابتسمت له الفتاة نفس الابتسامة ثم أدارت رأسها إلى الخامس، فقفز واقفا وصاح:

- أنا لا أوافق على هذا العبث.. وكيف تحرجون هذه الفتاة البريئة الوديعة بهذه الطريقة السخيفة التى لا تخطر إلا فى رؤوس البرابرة.. ان الأمر لم يكن يستدعى كل هذه السخافات وكل هذا الاحراج، فأنا.. وأنا وحدى، صاحب الفضل فى اكتشافها.. وما قدمته لها بالفعل لم يقدمه لها واحد منكم، لقد قدمت لها الفن والمجد، بل قدمت لها اسمها وقدمت لها مصر كلها تهتف بهذا الاسم.. مش كده ياحبوبه.. ان الأمر لا يحتاج منك إلى كثير من التفكير أليس كذلك ياعزيزتى؟!

انى أنا الرجل الكامل من جميع نواحيه،.. فن، ومال، ورجولة، وعلى رأى أولاد الفقراء المساكين اللى بيجوعوا علشان احنا نشبع، وبيتعروا علشان احنا نلبس.. على رأى الجماعة دول «مال وجمال»؟!!

وابتسمت له الفتاة نفس الابتسامة، ثم أدارت رأسها إلى

http://www.maktbtna2211.com

السادس، فابتسم وقال:

- انى أصغر المتقدمين إلى الانتخاب سنا، بل أخشى انى لم أكمل السن القانونية لدخول الانتخاب، فإذا استثنينا شرط السن، فأنا مثلك مازلت فى بداية الطريق، اذا كنت أنت فى حاجة إلى من تتوكئين على ذراعه لتصلى إلى القمة فأنا أيضا أبحث عمن أتوكأ على ذراعها لأصل إلى القمة.. فهل تحبين أن يتوكأ أحدنا على الآخر حتى نصل معا؟

وابتسمت له الفتاة نفس الابتسامة، ثم صمتت طويلا وقد وضعت رأسها بين يديها ونكسته وراحت تفكر..

وأخيرا رفعت رأسها وقالت:

- انى أعتقد ان الحب هو تجاوب بين قلبين، فإذا كنت قد أحببت واحدا منكم - وأنا فعلا أحب أحدكم - فيجب أن يكون قد شعر بهذا الحب حتى ولو لم أحاول أن أشعره به..

أما أن أقول صراحة انى أريد «فلانا» أو «فلانا» فهذا ما تأباه كرامتى ويمنعنى عنه حيائى.

وعادت إلى الصمت فترة ثم قالت:

- انى اقترح أن تخرجوا جميعا من الغرفة إلا الشخص الذى يعتقد أنه شعر بحبى له.. واذا صدق شعوره فسأكون له.

وتردد الجميع والتفتوا بعضهم إلى بعض حيارى، ثم قام الثانى - حسب ترتيب المتكلمين - وخرج، وأعقبه الرابع، ثم تنهد الثالث وكأنه يحرق قلبه وقام وخرج، وتلفت الأول حوله ثم نظر إلى الفتاة نظرة ساخرة وقام وخرج!

وبقى الخامس والسادس..

وكان الخامس واقفا كأنه يستعد لاطلاق «مترليوز» وكان السادس يجيل بصره بين الفتاة وبين زميله.

وأخيرا قام السادس وخرج!

http://www.maktbtna2211.com

والتقى من خرجوا فى الغرفة وسادهم صمت حائر.
وفجأة ظهر الخامس داخلا إليهم، ذليلا منكس الرأس.

□ □ □

وعادوا جميعا إلى الفتاة فوجدوها تبكى..
كانت تبكى الرجل الذى أحبته ولم يشعر بحبها..

http://www.maktbtna2211.com

وجوه عرفتها

خريستو

http://www.maktbtna2211.com

خريستو

مات «خريستو» مدير ملهى «ال...» وكان إلى عهد قريب أكبر ملاهى القاهرة.. مات الرجل الطيب الفاضل الذى عاش فى دنيا الحرام..

كان شابا مفتول العضل قوى البنيان، وكانت مهمته الأولى أن يستخدم عضلاته المفتولة وبنيانه القوى فى فض المنازعات التى تقوم بين الزبائن وفى طرد البلطجية الذين يترددون على الملهى لابتزاز نقود الراقصات، وفى محاسبة الذين يترددون فى دفع الحساب..

ولكن خريستو لم يستعمل عضلاته أبدا بل كان يستعيض عنها بابتسامته ولباقته، واستطاع أن يكون صديقا شخصيا لكل زبائن الملهى - حقيرهم وكبيرهم - ولعل الوجيهين محمد شعراوى بك ومحمد سلطان بك لايزالان يذكران كم كلفتهما صداقة خريستو - فى الأيام الخوالى - وكم كلفته صداقتهما!!

وهذا الرجل الذى عاش فى دنيا مدنسة لا تفهم للحب معنى إلا متعة الجسد، ولا يدوم الاخلاص فيها إلا ريثما تفرغ زجاجة الشمبانيا أو تفرغ محفظة الزبون.. هذا الرجل كانت له قصة حب خالدة.. حب برىء عف طاهر ارتفع به إلى مرتبة أبطال القصص الخيالية.

وتبدأ القصة - كما رواها لى - منذ سبع سنوات؛ فقد أحب فتاة

http://www.maktbtna2211.com

خريستو

يونانية وأحبته، ولم يكن من حبهما إلا لقاء برىء أثر لقاء برىء وقبلة طاهرة أثر قبلة طاهرة.. وقد أكسبه هذا الحب وداعة كان يبدو بين راقصات الملهى الشرسات كأنه عذراء، وهو المفروض فيه أن يقوم دائما بتمثيل دور الذئب.

وكم رفض خريستو من عروض مغرية فى سبيل حبه.. عروض الذهب الذى كانت الراقصات يلقينه تحت أقدامه فى سبيل ليلة أو بضع ليال، وعروض السفر إلى الخارج برفقة راقصة أو مغنية جاءت إلى مصر ووجدت فى خريستو قربة الماء الساخن التى لا تستطيع أن تستغنى عنها لتدفئة فراشها.. وقد رفض خريستو كل ذلك فى سبيل اليونانية الصغيرة التى أبت عليه إلا لمسة اليد وبضع قبلات خاطفة!

ومر عامان وتقدم خريستو يطلب يد الفتاة من أهلها. وقبلت الفتاة بلهفة، ولكن العائلة رفضت فقد كان مركز خريستو - فى نظرهم - لا يتناسب مع مركزهم، ولم يكن غناه يتناسب مع غناهم.. رفضوا ثم أسرعوا وزوجوا ابنتهم إلى ثرى عجوز من الأثرياء اليونانيين المقيمين فى مصر.

وكانت صدمة أحس بعدها خريستو انه لن يكون له نصيب فى دنيا الشرف والحب البرىء، فراح يعربد ويعرض نفسه للبيع فى دنيا الغوانى، فتلقفه صدر عجوز متصابية أغدقت عليه من مالها ونعمها حتى لم ير مانعا من الزواج بها..

ولكن هل مات الحب فى قلبه أو فى قلب الفتاة؟

لا...

لقد مضت الشهور ثم عادا إلى اللقاء. وفى هذه المرة لم يكتفيا بلمسة اليد ولا بالقبلة الخاطفة، فقد كانت هى زوجة خائنة وكان هو زوجا خائنا، وكان بينهما و بين الحب العذرى ثأر قديم لانه لم يشفع لهما لدى القدر ولا لدى عائلة الفتاة عندما أرادا الزواج.

http://www.maktbtna2211.com

ولكنهما لم يستطيعا أن يضحكا على أنفسهما طويلا، ولم يستطيعا أن يعيشا كزوجين خائنين، فهى تحبه ولا تتحمل رجلا غيره، وهو يحبها ولا يتحمل امرأة غيرها.. فطلق هو زوجته وتحايلت هى كثيرا وقاست طويلا حتى طلقت من زوجها..

وعاشا طليقين فى دنيا الحب..

ولكن خريستو كان قبل كل شىء رجلا شريفا، يؤمن بالله، ويؤمن بالحب الذى تبيحه الأديان وكان يشعر دائما أن حبه رغم ما تجمع له فيه من متعة، إلا انه ينقصه ان تباركه السماء وأن يشهد عليه القسيس..

وكانت الفتاة أيضا مؤمنة بالله، وكانت حليتها الوحيدة صليبا من ذهب يتدلى فوق صدرها، وكانت كلما ضمها خريستو إلى صدرها أحست بالصليب يشك قلبها ويقف حائلا بينها وبين حبيبها، كأنه غضب الله..

كان الاثنان مؤمنين شريفين، فلم يتحملا طويلا الحب الحرام، ولم يتحملا أن يضحيا بالضمير فى سبيل الحب، وبالايمان فى سبيل القلب.. فقررا الزواج، وفى هذه المرة لم يكونا فى حاجة إلى استئذان العائلة!!

وفى الليلة التى تم فيها الزواج، شاهد زبائن الملهى خريستو كما لم يشهدوه من قبل.. كان المرح يتدفق من خلجات وجهه، وكانت عضلاته ترقص فوق قوامه الفارع.. وبدا ليلتها كأنه إله نشوان فر من فوق قمم جبال الأولمب ليمنح السعادة لبؤساء الأرض..

وفى الليلة الثانية اختفى خريستو.. وسألوا عنه، فقيل لهم انه مريض مرضا عابرا بسيطا..

وطال غياب خريستو.. فسألوا عنه مرة ثانية، فقيل لهم انه مريض مرضا خطيرا مستعصيا!

وكان مرضه غريبا.. فقد أصيب بتيفوئيد فى المصارين وهو

http://www.maktbtna2211.com

خريســـتو

محتاج إلى علاج بالثلج، وأصيب فى الوقت نفسه بالجديرى وهو محتاج لعلاج بالمكمدات الساخنة.. واذا اجتمع المرضان فلا مفر من أن يقضى احدهما على المريض..

وقد قضى على خريستو..

مات..

مات ولم يمض على دخوله الحب الحلال أيام معدودات..

لقد كان الحلال محرما عليه، وكان مقدرا له أن يعيش فى دنيا الخمر والرقص والعربدة، وقد وهبته الطبيعة عضلاته القوية وبنيانه القوى ليضرب بها الناس ويؤذى خلق الله.. ووهبته قوامه الفارع الرشيق ليبيعه للنساء المحترفات.. فلما خالف ما كان مقدرا له، وعاند الطبيعة وأراد أن يعيش مؤمنا نقيا وادعا وان يتقدم بحبه ليشهد عليه السماء.. مات!!

وللأقدار حكم..

http://www.maktbtna2211.com

وجوه عرفتها

أســـــطورة

http://www.maktbtna2211.com

قابلتـهـا على شـاطىء سـيـدى بشـر.. وقـد قـابلتـهـا هناك وفى نفس المكان منذ أثنى عشر عاماً، وكنت فى السابعة عشرة من عمرى، وكانت تصغرنى بعامين، وعشنا فى قصة دامت ثلاثين يوما كتبنا الكلمة الأولى منها بالدم..

وعندما أقول: «الدم»، فإنى لا أغالى.. فقد كانت فتاة قضت عمرها بين كتب الأساطير وأرادت أن تجعل من حبها أسطورة، فاقترحت أن أجرح أصبعى لتمص منه دمى، وان تجرح أصبعها لأمص منه دمها، وفعلنا..

وسرى دمى فى عروقها، وسرى دمها فى عروقى، وخيل إلينا بذلك اننا ارتبطنا إلى الأبد..

ولكن الأبد لم يدم سوى ثلاثين يوما افترقنا بعدها لنلتقى بين الأعوام فى نظرات خاطفة صامتة يقطعها علينا زوج كريم، هو زوجها، وأطفال كأعواد الورد، هم أطفالها الثلاثة..

ولم التق بها يوما، إلا وشعرت بدمها فى عروقى وأحسست بطعمه وسخونته - طعم الدم وسخونته - بين شفتى وعلى طرف لسانى، ويخيل إلى انى مدفوع إليها بقوة لا أدريها وانها قطعة منى انفصلت عنى ثم ضاعت، وان من حقى أن استردها لأعيدها إلى مكانها بين جنبى، بل يخيل إلى عندما أراها انى أرى دمى فى

http://www.maktbtna2211.com

عروقها، وان هذا الدم يحاول أن ينفجر ليعود إلى سيده ومولاه.

وأعتقد انها تبادلنى نفس الشعور. فهذا الضعف الذى يبدو على وجهها كلما رأتنى، وهذا التخاذل الذى ينتابها حتى لتتعلق بذراع زوجها وتلتصق به فى قوة وكأنها تخشى أن تطير من جانبه لترتمى بين ذراعى، وهذا النور الذى يلمع فى عينيها وكأنه انعكاس أضواء نار هبت فجأة فى عروقها..

كل هذا يجعلنى أؤمن بأن الأسطورة - أسطورة الدم - التى آمنا بها يوما، مازالت تعيش فى قلبينا وتسيطر على أعصابنا ومازالت تهتف فى أعماقنا كتراتيل كاهن من عبدة السحر يدعو إليه الشياطين!

ولم أقابلها يوما فى هذه المرات الخاطفة إلا وعشت معها فى الأوهام أياماً.. أوهام يختلط فيها الماضى بالحاضر بالمستقبل.

الماضى: يوم كانت تقفز من نافذة بيتها لتلتقى بى فى صحراء سيدى بشر، وقد كانت تستطيع أن تخرج من الباب ولكنها كانت تفضل دائما أن تخرج من النافذة، فهكذا قرأت فى كتب الأساطير..

الماضى: يوم كانت تغمض عينيها ثم تميل على صدرى وتهمس فى حنان قائلة:

- يا حبيبى برداليان..

أحاول أن أحتج، ولكنها تضع أصبعها الرقيق على شفتى وتقول:

- صه.. لا تحاول أن تذكرنى ان اسمك فتحى!

الماضى: يوم جاءتنى هلعة وفاجأتنى وهى تسألنى:

- كم معك؟

قلت:

- عشرون قرشا.

http://www.maktbtna2211.com

قالت:

- وأنا معى خمسون.. انه مبلغ كاف!

قلت:

- كاف لماذا!؟

قالت:

- للهرب..

وقالت لى أن أهلها اكتشفوا علاقتها بى، وانها اعترفت لهم بأنها تحبنى وتريد أن تتزوجنى، فحاولوا اقناعها بأنى لا أصلح للزواج، فلست صاحب مجد، ولست وارثا ولن أرث شيئا، كما انى مازلت طالبا فى المدارس الثانوية، والمهم انى ولد «بايظ»..

وقد عارضتهم فى رأيهم المتواضع فى، وقالت انها تريدنى كما أنا، وانى أحاول أن أبدو سافلا ولكنى لست بسافل!! ثم قفزت من الشباك كعادتها وجاءت لتهرب معى..

وقد وافقتها على الهرب، ولكن هربنا لم يدم سوى نهار واحد، فقد دفعنا كل ما نملك من مال ثمنا لوجبة طعام واحدة فى كازينو الشاطبى، فعادت إلى بيتها وعدت إلى بيتى وقد اتفقنا على أن تسرق ما يصل إلى يدها وان أسرق ما يصل إلى يدى ثم نعاود الهرب.. و

لكنها لم تسرق شيئا فقد حملتها عائلتها وعادت بها إلى القاهرة، ثم نقلوها إلى عزبتهم بالريف ولم تخرج منها إلا للزواج من طبيب شاب هو نعم الزوج.

هذا هو الماضى، بجنونه وشبابه وروعته، الماضى يوم كنت وكانت نعيش فى السماء ونرى الدنيا بعين خيالنا ونعيش فيها كما نحب لا كما تحب لنا.

والحاضر: انها زوجة سعيدة وأنا زوج سعيد، ولكننا نزلنا من السماء لنعيش على الأرض وأصبحنا نؤمن بالواقع ولا نؤمن

http://www.maktbtna2211.com

بالخيال، ونخلص لحاجتنا ولا نخلص لأرواحنا. انها أحيانا تريد ان تعود إلى وأحيانا أريد أن أعود إليها.. ولكننا لن نعود.. لأننا كفرنا بالأساطير رغم انها تعيش فى دمنا، وآمنا بيومنا رغم انه ليس منا..

والمستقبل: لا يلوح لنا فيه شىء، إلا أن تدعو لى، وأدعو لها!!

http://www.maktbtna2211.com

وجوه عرفتها

فتـــــاة

http://www.maktbtna2211.com

عرفتها بعد أن سمعت عنها.. عرفتها على شرفة فندق الكونتنتال فتاة تقطر شفتاها سلافة، وتنطق عيناها بثورة تحس انها ثورة على نفسها أكثر منها ثورة على الناس.. وتتكلم بلكنة فلسطينيـة تجـعلك تحاول أن تأكل الكلمات من على طرف لسانها!

وسمعت عنها انها احدى المهاجرات من فلسطين فضلت أن تقيم فى فندق الكونتنتال على أن تسلم نفسها لمعتقل اللاجئين.. والاقامة فى الفندق لم تكلفها شيئا اللهم إلا نظرة فابتسامة فسلام.. إلى آخر الطريق الذى خطه شوقى الشاعر لبنات الجيل!!

وكان كل مايميزها عن بنات الجيل انها من عائلة فلسطينية كريمة ثرية، رجالها مجاهدون ونساؤها مجاهدات وقد استشهد منهم من استشهد وتشرد الباقون فى الأقطار العربية يبحثون عن بقية من الحياة.

وكنت أنتظر أن أسمع منها حديثا عن الجهاد، أو أرى فى عينيها دموعا تبكى الأهل المشردين والعز الضائع وترثى بها الوطن ومرتع الصبا.. ولكنى لم أسمع حديثا عن الجهاد ولم أر دموعا، بل سمعت ضحكة فاجرة رنت فى اذنى كصوت صفارة الانذار ورأيت فى عينيها دعوة كادت تنسينى انى زوج وصاحب عيال!

http://www.maktbtna2211.com

انها مشكلة.. هذه الفتاة.

لقد جاءت إلى القاهرة طاهرة نقية فأسلمت نفسها منذ اليوم الأول إلى أندية الليل وكرهت ان يحدثها أحد عن فلسطين وجهادها وأبطالها وحربها، بل كان يكفى أن تسمع اسم عبدالرحمن عزام لتمد يدها إلى الكأس فتقذف بها فى جوفها.. علها تنسى!!

كرهت كل ذلك وعاشت لياليها تنتقل بين القاهرة والاسكندرية مرحة عابثة لا هم لها إلا أن تضحك وتسكر وتتلذذ بحاشية من عباد الجمال تطأ أقفيتهم بقدميها وتصفع وجوههم بضحكاتها.

وكان من المحال ان تهديها أو تعيد إليها الرشد.. فقد أحبها رجل من عائلة وعرض عليها الزواج.. عرض عليها اسما كريما ومنزلا كريما، فرفضت واكتفت بأن أفلسته وضيعت رصيده على سلسلة من النزوات الغريبة الشاذة..

ودعتها سيدة كريمة إلى بيتها وعرضت عليها أن تستضيفها حتى تنتهى مشكلة فلسطين فتعود إلى أهلها ووطنها.. ولكنها رفضت، ثم سلبت زوج السيدة وفرت به، ولم تنبذه إلا بعد ان تم الطلاق..

وشىء واحد تستطيع أن تتأكد منه فى هذه الفتاة، هو انها لا تحب أن يرثى أحد لها ولا أن يشفق عليها أحد ولا أن يمد لها يده على سبيل الاحسان.. انها تفضل أن يقال عنها «مومس» على أن يقال عنها: «مسكينة»، وتفضل ان يقبض عليها بوليس الآداب على أن تستضيفها الحكومة فى ملجأ المهاجرين، وتفضل أن يدعوها رجل لأنه يشتهيها على أن يدعوها آخر لمجرد أن يملأ بطنها بالطعام.

وربما كان هذا هو سر جميع تصرفاتها فقد رفضت الزواج لأنها ظنت ان الرجل أشفق عليها وأراد أن يؤويها بعد تشرد، وسلبت زوج السيدة لأنها كرهت فى هذه السيدة نظرتها التى تحمل معانى

http://www.maktbtna2211.com

العطف والرثاء، وفضلت أن تحس منها الحقد والغيرة.. والحقد أخف على النفس الأبية من الرثاء!!

انها امرأة خطرة.. لأنها امرأة تنتقم!!

وهى تنتقم من القدر الذى اختار لها فلسطين وطنا، وتنتقم من الأيام التى سلبتها كل شىء حتى عزة نفسها، وتنتقم من شهور النحس التى جعلت منها بين الشعوب فتاة يرثى لحالها، لا تستطيع أن تعيش شريفة إلا اذا تنازلت عن شعورها بكيانها كفتاة جميلة من عائلة يحفى الرجال وراءها وتكل أيديهم فى طرق بابها، وتكتفى من هذا كله بالانزواء فى ملجأ ليس فيه حياة، وليس فيه ثياب، وليس فيه معجبون، وليس فيه إلا حراس يمدون أيديهم بالطعام وفى أعينهم نظرة من الترفع والتفضل تأباها بنت الأصل وسليلة الحسب والنسب.

وسألتها:

- لماذا لا تلجئين إلى أحد معسكرات اللاجئين؟

قالت:

- لو فعلت هذا لما رأيتك، وربما أرسلت مندوبا عنك يلتقط صورتى وتنشرها فى صحيفتك لتثير بها الشفقة على، أما هنا فقد جئتنى بنفسك وجئتنى فى أفخر ثيابك وانتقيت بدقة رباط عنقك، وتعمدت أن تترك هذه الخصلة من شعرك تتدلى على جبينك فقد تحوز بكل ذلك عطفى ورضائى، ولست أنت الكاتب الوحيد الذى جاءنى مدعيا انه جاء لينقذنى، فقد جاءنى كتاب أكبر منك شأنا واسما، وكنت أتلذذ أن أرى فى عيونهم هذا التوسل الذى يبدو الآن فى عينيك، وأرى على شفاههم هذه الرعشة، التى ترتعش بها الآن شفتاك، واقرأ فى رؤوسهم هذه الآمال التى تدور الآن فى رأسك.. ولو انى التجأت إلى أحد المعسكرات لما فزت بهذا الشرف الكبير.. شرف التعرف عليك وعلى زملائك الأفاضل.

http://www.maktbtna2211.com

وسكتت ونظرت إلى نظرة تستطيع أن تجد مثلها فى عينى أى «ارتست» تتقاضى ثمن نظراتها. فقلت لها:

- اكملى، فإن هذه الكلمات هى كل ما بقى لك.. اكملى فإنى أرثى لك إلى حـــد أن أتحـــمل منك كل شىء.. وان آخـــر من يلام فى فلسطين، أهلها!

ومدت يدها إلى الكأس فأفرغت ما بها فى جوفـها ثم حطمـتها على الأرض وقامت وهى تقول من بين أسنانها:

- يا وغد.. كلهم أوغاد!!

http://www.maktbtna2211.com

وجوه عرفتها

الجيل الجديد

http://www.maktbtna2211.com

هذه قصة صديق من زملائى فى الجهاد وزملائى فى مدرسة فؤاد الأول، عرفه الناس بطلا من أبطال القضايا السياسية، وسمعوا باسمه فى كل مرة اعتدى فيها على زعيم أو ألقيت قنبلة.. وقد قبض عليه أكثر من مرة، وحكم عليه أكثر من مرة.

وسيفهم القارىء لهذه القصة ان جهاد صديقى لم يكن خالصا لوجه الوطن، ولكن ليس معنى ذلك انى اتهمه فى وطنيته أو أطعنه فى ايمانه بمبادئه التى افتداها بحياته وبمستقبله، ولكن العمل فى سبيل الوطن لم يخل أبدا من دافع شخصى فى كل فترات التاريخ، وهو غالبا دافع شريف يسمو بالانسان ويخلق منه بطلا.

❑ ❑ ❑

عندما اشترك فى أول جريمة سياسية - اذا اعتبرنا كل عمل عنيف جريمة - كان لايزال طالبا ولم يكن يقدر خطورة ما فعله وما هو مقدم عليه من تحقيق النيابة العامة ثم المحاكمة، وقد دفعه إلى الاشتراك فى هذه الجريمة حماسته العنيفة للمبدأ السياسى الذى يدين به وتدين به عائلته كلها، وإلحاده بجميع

http://www.maktbtna2211.com

الزعماء.. وكان يؤمن الايمان كله بأن أبواب المستقبل لن تفتح إلا اذا طرقتها يد مضرجة بالدم.. وكان مستعدا لأن يغمس يده فى الدم ليدق بها أبواب مستقبل مصر ومستقبله هو أيضا كشاب يطمح فى أن يكون له شأن.

وعرفت عائلته بما فعله فلم يلمه أحد من أفرادها، فالجرائم السياسية العنيفة كانت حكما مقدرا على العائلة يتوارثونها جيلا بعد جيل، وإنما قدروا ما هو مقدم عليه من أيام سود قد تهدم مستقبله وتبعثر سنوات عمره فى السجون، فكان أول ما سعى إليه عميد العائلة هو أن يخفيه عن أعين البوليس إلى أن ينجلى الموقف ويتحدد مركزه من الجريمة، حتى لا يقضى الفترة التى تسبق المحاكمة فى السجن الاحتياطى، وحتى يدبروا له الأدلة التى تكفى لتبرئة ساحته.

أين يخفونه؟

وتذكر عميد العائلة ان له نسيبا لا يختلط به ولا تربطه به صداقة قوية وان كانت تربطه به صلة النسب البعيد، وصلة المبدأ الوطنى الواحد، وصلة الدم النقى والنفس الكريمة.. فأرسل ابنه إليه ليقيم عنده أياما وشهورا لا يخرج من الدار ولا يعلم بوجوده بينهم أحد.

والتقى صديقى هناك بفتاتة وملهمته فى الوطن.. انها ابنة صاحبة الدار، فتاة ـ كما يصفها صديقى ـ فى عينيها مظاهرة تهتف بسقوط الاستعمار البريطانى، وبين شفتيها نداء إلى الثورة، وفى لمسات يديها دعوة إلى تأليف جمعية.. وقد

http://www.maktbtna2211.com

استقبلته على الباب وهى تعلم انه أتى إليهم هاربا من البوليس السياسى فأطلت عليه بعينيها وكأنها تبحث فى ثيابه عن البطل أو عن الفارس الجميل الذى صورته لها أحلامها. ولكن الفارس الجميل كان خجولا وقد عرف بيننا - ولايزال معروفا - انه أخيب خلق الله فى مغامراته الغرامية، فاكتفى منها بنظرة واحدة شعر بعدها ولأول مرة بأن له قلبا يدق.

وعاش بينهم عشرين يوما جمعته ساعات طويلة منها بفتاته فكان يحدثها فى كل شىء إلا عن حبه، وكانت تحدثه فى كل شىء إلا انها أحبته هى الأخرى.. ورغم هذه الساعات الطويلة فهو لم يرها أبدا ملء عينيه وإنما كان يلتقى بها فى نظرات مرتعشة مختلسة لا يكاد يرفعها حتى يخفضها خوفا من نفسه على نفسه!

وانقضت الأيام العشرون وسكتت عنه تحريات البوليس وأصبح آمنا على حريته فكان يجب أن يغادر الدار التى اختبأ فيها شاكرا ولكنه غادرها مضطرا بعد أن عجزت جميع حججه وتعللاته لاطالة اقامته فيها.

وعاد إلى داره فلم يستطع أن يقيم فيها هادئا.. انه يريد أن يعيش فى الدار الأخرى! يريد أن يرى فتاته الوحيدة التى سكنت قلبه ورأسه وأعصابه، لا أن يراها فحسب بل ويعيش معها.

وكان يستطيع أن يزورهم من آن لآخر، ولكنه لم يزرهم ولا حتى لأداء واجب الشكر، فهو لا يريد أن يذهب إلى هناك

http://www.maktbtna2211.com

فيستقبلونه فى «حجرة المسافرين» وتدخل إليه فتاته فى ثوب ترتديه لكل غريب، وفى زينة تخرج بها فى الطريق ليراها كل عابر سبيل، إنما يريد أن يذهب إليهم ليعيش بينهم كما كان يعيش مدى العشرين يوما، واحدا من أهل البيت.. وليراها كما لا يراها أحد.. يراها فى الصباح قبل أن تغسل وجهها والنوم لايزال يطوف بعينيها وكأنه يعز عليه فراقها، ويراها وهى تشرف على الخدم وتحاسب الطباخ وتشترك فى تقشير البطاطس وتخريط الملوخية، ويراها فى ثوبها المنزلى العادى الذى لا تكلف فيه ولا تصنع، ويراها كما كان يختلس إليها النظر أحيانا وهى فى «برنس الحمام» تخطو مسرعة إلى غرفتها، ويراها عندما تنتهى من كل شىء فتجلس إليه وأصابعها تقفز بين خيوط «التريكو» لتحدثه ويحدثها عن مستقبله ومستقبلها دون ربط المستقبلين بعضهما ببعض، وتسأله بين حين وآخر فى لهفة وجزع عما يمكن أن يحدث له لو اكتشف البوليس مخبأه.

فقد فقدت الآن لهفتها عليه وجزعها من أن يقبض عليه، لأنه فقد ثوب البطولة الذى كان يرتديه أمامها طوال العشرين يوما التى قضاها بين عينيها، وأصبح شابا عاديا لا يميزه فى نظرها شىء، فلا البوليس يطارده ولا هو متهم فى جريمة سياسية.

اذن فليس هناك طريق ليعود إليها كما يريد أن يعود، إلا أن يشترك فى جريمة سياسية أخرى ليطارده البوليس من جديد،

http://www.maktbtna2211.com

ويعود بطلا كما كان، ويختبىء فى دار الفتاة من جديد. ويعود بطلا كما كان..

وعندما ارتكب صديقى جريمته السياسية الثانية كان مخلصا فى ارتكابها وكانت تتمشى فى جميع أهدافها مع المبادىء التى يؤمن بها ونؤمن بها جميعا، ولكن لم تكن حماسته الوطنية هى كل ما دفعه إلى ارتكابها ولا كل ما ألهمه بها.

وعاد إلى نفس الدار ليختبىء فيها، وعاش أسابيع يرى فتاته كما يحب أن يراها، ثم اضطر أن يخرج من الدار ليسلم نفسه إلى النيابة، ثم عاد ليختبىء فيها مرة ثانية - والتفاصيل ليس من حقى الافاضة فيها - وعندما انتهت القضية، كان قد وضع جميع تفاصيل جريمته الثالثة!!

واستغرق نظر الجريمة الثالثة أمام النيابة والقضاء عدة سنوات كان من حقه خلالها أن يختبىء المرة تلو المرة، فى بيت الفتاة التى أحبها لأنه أحب وطنه، وأحب وطنه لأنه أحبها..

وعندما انتهت القضية الثالثة كنت أؤمن بأن صديقى يرسم خطوط الجريمة الرابعة، ولكنى قابلته فوجدته انسانا جديدا، انسانا هادئا أخرج رأسه من نطاق عواطفه الوطنية وبدأ يبحث وراء متاع الدنيا، ولم يستقبلنى صائحا كما كان يصيح دائما:

«احنا لازم نشتغل.. البلد ماعندهاش وقت» بل استقبلنى بسؤال لم يخطر لى يوما أن يجيئنى منه هو بالذات، فقد سألنى: «أنت بتكسب كام من الصحافة دلوقت؟» وأجبته، ففرك يديه فرحا ولمعت عيناه بنور الأمل.

http://www.maktbtna2211.com

وأكثر من ذلك، فقد انقضت أيام فإذا به يبيع نفسه للشيطان.

ولا تسألنى من هو الشيطان!

ولكن سلونى لماذا تطور صديقى هذا التطور الذى إن لم يفقده وطنيته فقد تطرف به وأفقده روحه الفدائية.

الجواب: لقد تزوجت الفتاة التى أحبها.. تزوجت شخصا أقل منه وطنية وأكثر مالا.. وانتقلت إلى بيت ليس من حقه أن يختبىء فيه!

http://www.maktbtna2211.com

وجوه عرفتها

الفيلسوف

http://www.maktbtna2211.com

كانت فتاة..

وعندما فقدت شرفها لم تحس انها فقدت شيئا ثمينا يستحق أن تحرص عليه.. ففقدته كما فقدت أباها وكما فقدت أمها وكما فقدت كل يوم من أيامها.

لقد تعودت أن تفقد كل شيء ترتطم به حياتها، ولم يكن شرفها هو كل ما فى حياتها، بل كان هناك بيت فقدته وطردت منه، وكان هناك أمل معلق بين عينى شاب، ففقدت الأمل وفقدت الشباب، وكان هناك مصحف صغير مغلف بالذهب، فقدته لتشترى بثمنه ثوبا ونصف رغيف تقتات منه، ثم كان هناك كبرياء وعزة نفس ففقدتهما وهى تمد يدها تسأل العون من قريب لها فطردها.

وعندما سمعت أن «شرف الفتاة» هو أعز ما تملك دهشت وردت على الأعين التى ترثيها وهى تتساءل: هل الشرف أعز من الحياة نفسها، وهل هو أعز من شبع المعدة، ودفء الجسد، وهل هو أعز من سرير أبيت عليه؟

وسارت فى الحياة ورأسها تسيطر عليه خرافة واحدة، هى ان كل شيء تمسه بيدها ينقلب إلى فقر!

أحبها شاب عراقى من عائلة ذات سطوة ونفوذ، وعرض عليها

http://www.maktbtna2211.com

الزواج فرفضت، كانت تكتفى منه بليلة تختطفها من عمره، فإذا أصبح الصباح لم يجدها بجانبه فيدور يبحث عنها فإن وجدها بعد أيام أو بعد أسابيع

وسألها: أين كنت؟

أجابت: لقد فضلت أن أتركك وأنت لى، على ان أتركك وقد فقدتك!

كانت تطرد الناس من حياتها طردا، فقد كانت تخشى عليهم من النحس الذى يسير بين قدميها ويطل من عينيها، وكانت تهب نفسها لساعة أو ليلة ثم تفر هاربة، وترفض أن تعيش فى حياة انسان يهبها الطمأنينة والأمان!

كانت تعتقد انها نحس، وكانت طيبة القلب إلى حد أن تخشى على الناس من نحسها.

إلى أن قابلته وكان مهموما حزينا، همه وحزنه يشعان من قسمات وجهه ومن حركات يديه ومن هزات رموش عينيه.. كان يشرب الخمر ثم يضحك، فتحس ان الخمر قد أصفر لونها ألما لرنين ضحكاته، وكان يرقص فتحس أن شفتيه تئنان تحت وقع كلماته.

ولم يطلب منها شيئا حتى ولا أن تسرى له عن همه وحزنه بل كان يعتبر وجودها بجانبه شيئا يجب أن يوجد كقطع الأثاث المتناثرة وجدران الغرفة التى تحيط به.

ولم تفر منه بل فرت إليه، فقد أحست ان نحسها لا يمكن أن يزيد مصائبه شيئا، وأحست ان فيه شيئا لم تفقده هى وقد فقده هو..

إلى أن سألته يوما:

http://www.maktbtna2211.com

- هل فقدت شيئا؟

قال:

- ماذا تعنين؟

قالت:

- هل فقدت أبا أو أما كما فقدت أنا أبى وأمى.. هل فقدت بيتا كما فقدت أنا بيتى.. هل فقدت كبريائك كما فقدت أنا كبريائى؟ هل؟

قال:

- لا.. ان لى أبا وأما أبقاهما لى الله، ولم يكن لى بيت فوهبنى الله بيتا كاملا توافرت له أسباب السعادة كاملة، وصان الله كبريائى، وأغدق من رزقه علىّ.. لا لم أفقد شيئا مما تعنين.

قالت:

- قد تكون فقدت شيئا لا أعنيه؟

قال بعد صمت طويل احتارت معه فيه:

- نعم فقدت.. فقدت لذة التمتع بما وهبنى الله، إن الناس يرون مابين يدى جميلا ولا أرى أنا جماله، وأقدم لهم ما لدى فيشعرون بلذته، ولا استشعر أنا له لذة، ويغبطوننى على شئ ولا أغبط نفسى عليه.. إن الله يحرم أناسا من شىء، ثم يعطيه لآخرين يحرمهم من لذة التمتع به.

قالت:

- اذن فأنا أسعد منك، فإنى لم أفقد لذة التمتع بما فقدته، وهذا خير من أن أفقد لذة التمتع بما عندى..

قال:

- هو ذلك!

http://www.maktbtna2211.com

قالت:

- اذن، فأنا لست نحسا!

قال:

- هو ذلك.

وسافرت إلى العراق لتتزوج.

http://www.maktbtna2211.com

وجوه عرفتها

بيتى

http://www.maktbtna2211.com

جلست إلى آنسة شيوعية أو «تقدمية» ـ كما تصف نفسها ـ ودار بينى وبينها نقاش حاد انتهى إلى ما يشبه الصراخ، وكانت تتكلم فتبرق عيناها ببريق حقد مقيت، وتلتوى شفتاها كأنهما أصيبتا بشلل نصفى، وتهز يديها فى الهواء كأنها تنتفض فى حفلة زار..

وهى جميلة، وكان يمكن لمن يجلس إليها أن ترتاح أعصابه لجمالها.. كان يمكن أن تكون بيننا ملكة نتزلف إليها ونسعى كى تمنحنا ابتسامة تضفى علينا من هدوئها هدوءا، ومن فتنتها فتنة، وكان يمكن أن تنقضى الليلة وفى حقيبة يدها خمسة معجبين تأمرهم فتطاع وتختار من بينهم فيلبى النداء.. ولكن هذه الحدة فى النقاش، وهذا الحقد الذى كان يصبغ حديثها بالسواد، وهذا التعصب الأعمى لمبدئها إلى حد لا تحترم معه رأيا آخر ولا تسمح لرأى آخر أن يقف بجانب رأيها. كل هذا شوه جمالها، وجعلنا نتلمس طريق الفرار منها لنريح رؤوسنا من صراخها.

قلت لها، انه يكفى أن أجلس إليها مرة لأؤمن بأن الشيوعية جريمة.. جريمة ضرب أفضى إلى الموت.. فقد ضرب كارل

http://www.maktbtna2211.com

ماركس رأسها بكتبه حتى قتلها.. قتل فيها روح السماحة والود والعطف والرحمة.. قتل فيها المرأة التى خلقها الله لتنشر السعادة فى طريق البشرية، وتلهم الرؤوس الجافة روعة الايمان وتمسح بيدها الرقيقة آلام المكافحين، وتمدهم بذخيرة من جمال الحياة يكافحون من أجلها.. ولكن كارل ماركس - غفر الله له - قتل فيها كل ذلك وأحالها إلى كتلة من الأعصاب المسممة تتمايل فى قسوة عربيدة على دقات كتبه ومنشوراته..

قلت لها إن بعض النساء يركبهن العفاريت، ولكنهن تطورن مع «المودة» فأصبحن يفضلن أن يركبهن كارل ماركس.. والعفاريت أرحم من كارل ماركس، لأنها لم تكن تركب النساء إلا بمعدل مرة أو مرتين فى السنة وتقام لها فى كل مرة حفلة زار، أما كارل ماركس، الجن الأحمر، فيركب الآنسة «التقدمية» بصفة مستمرة، وأصبح لزاما أن تستمر معه حفلات الزار.. وهى التى يسمونها: «الجمعيات الشيوعية»!

وصرخت فى وجهى واتهمتنى بأنى رجعى وانى من أنصار نظام الحريم وانى لا أؤمن إلا بشىء واحد هو: «ان من حق الرجل أن يتزوج أربع نساء»!

وقالت انه يكفى الشيوعية فخرا أن خلقت جيلا من النساء يفهم ما هو نظام الطبقات وما الفاشية والرأسمالية، وما نظام الاستغلال الاقتصادى.. الخ.

وقلت لها انى لا أريد أن أدخل بيتى لاستريح فتناقشنى زوجتى فى قانون الضرائب التصاعدية وجنايته على الحركة الشيوعية، ولا أن تقرأ لى خطبة ألقاها ستالين.. إنما أريد حديثا مريحا هادئا وليكن فارغا، حتى يغسل رأسى مما علق

http://www.maktbtna2211.com

به من جهد بذلته طول يومى..

قالت:

- ثق انك لن تجد فتاة شيوعية تتزوجك، لأنك لا تستحقها مادمت لست شيوعيا..!

قلت:

- حتى لو كنت شيوعيا فإنى لا أقبل زوجة تجرعت نفس السم الذى شربته، ولا أريد أن أدخل يوما إليها فأجدها باكية ويدها على خدها، فإذا سألتها «مالك» أجابت من دمعها «مادرتش تيتو النهارده شتم ستالين.. شوف الخاين المغرور، بأه بعد ده كله..».

لا أريد هذه الزوجة، فبيتى يجب أن يكون دنيا خاصة بى، لا يدخلها تيتو ولا ستالين ولا النقراشى ولا مصطفى النحاس.. دنيا قائمة بذاتها، أنا وحدى زعيمها، ووزيرها وشعبها وخادمها، دنيا استريح فيها من الدنيا، ولا يشاركنى فيها أحد لا بشخصه ولا برأيه ولا بمبادئه، وثقى انى فى بيتى لا أتحدث فى السياسة ولا فى الاقتصاد ولا حتى فى الصحافة، إنما أتحدث حديث خيال، حديثا لا يمكن أن تتصورى أن يدور بين البشر، لأنه حديث ملائكة يعيشون فى السماء، حديث اثنين يعيشان فى جزيرة عزلاء لا تدرى عن العالم شيئا ولا يدرى عنها العالم شيئا، جزيرة سماؤها حب وأرضها حب، ونهارها حب وليلها حب، وليس لها سيد تتوجه له بالشكر إلا الله.. والحب لا يمكن أن يدخل بيوت الشيوعيات، لأن بيوتهن ليست دنيا خاصة بهن، بل هى مفتحة على العالم كله، ويدخل الحقد على المجتمع ملء أبوابها ونوافذها وينصب عليها من السماء

http://www.maktbtna2211.com

وينبع من أرضها.

قلت لها كل ذلك وتركتها تصرخ ورائى قائلة:

«أيها الأنانى.. ان لك بيتا، والباقون.. أليس من حقهم أن تكون لهم بيوت»؟!!

http://www.maktbtna2211.com

الفهرس:

الصفحة

- مقدمة ٥
- من لندن إلى باريس ٧
- عذراء هولندا ١١
- السكرتيرة الحسناء ٢٣
- أميرة روسيا ٣٩
- فتاة من لندن ٥١
- فى حانة الزنوج الخمسة ٦٣
- صورة العذراء ٧١
- «وجوه لم أعرفها» :
- فندق الغرباء ٨٥
- ميناء مرسيليا ٨٩
- لنـدن ٩٥
- باريس ١٠٣
- «وجوه عرفتها» :
- راقصة وقلم ١٠٩

http://www.maktbtna2211.com

الصفحة

- ستة رجال وفتاة ١١٧
- خريستو ١٢٧
- أسطورة ١٣٣
- فتاة ١٣٩
- الجيل الجديد ١٤٥
- الفيلسوف ١٥٣
- بيتى ١٥٩
- الفهرس ١٦٦

http://www.maktbtna2211.com

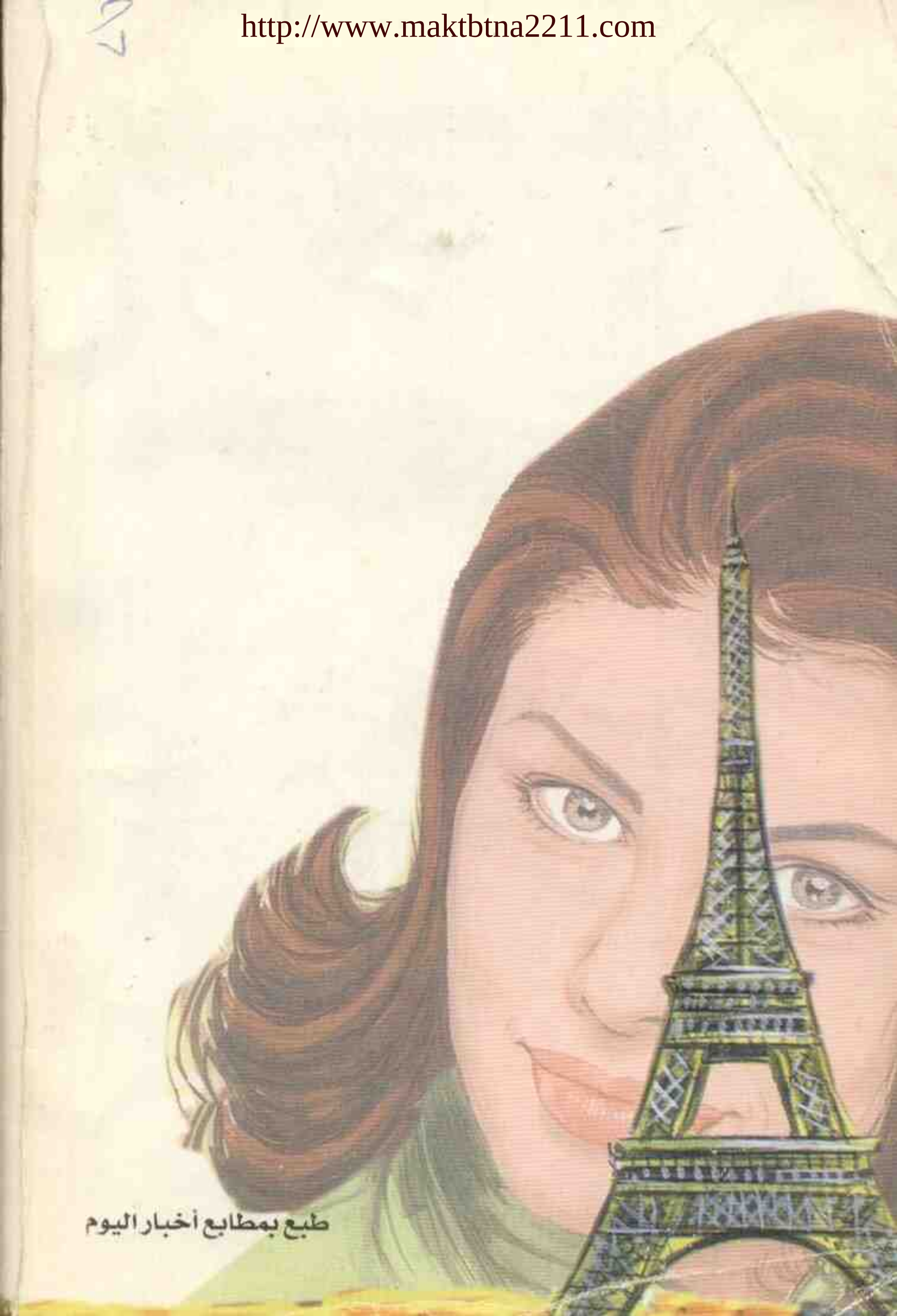

طبع بمطابع أخبار اليوم